Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 3, 2024

Deanship of Scientific Research

The Nature of Civilization, Its Constituents, Its Deterioration, the Islamic Perspective on It

Amer Ali Al-Naemi*

Department of Doctrine and Da'wah, College of Sharia and Islamic Studies, Qatar University, Qatar.

Received: 18/3/2022
Revised: 6/12/2022
Accepted: 11/6/2023
Published: 30/5/2024

* *Corresponding author:*
amer.alnaemi@outlook.com

Citation: Al-Naemi, A. A. . (2024). The Nature of Civilization, Its Constituents, Its Deterioration, the Islamic Perspective on It. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(3), 110–127.
https://doi.org/10.35516/hum.v51i3.588

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This study aims to shed light on civilization in terms of its essence, the time cycle, the relationship between it, culture and civilization, the role of the state or the political system in preserving civilization, and deducing the state of civilization in the contexts of the verses of the Holy Qur'an to measure the Islamic perspective on it.

Methods: The study is based on the inductive historical method, which involves tracing back to the origins of the terms used in the study, examining and measuring the dimensions of the changes that have occurred to them. It also utilizes the descriptive method by presenting and describing the theories that have addressed civilization, and the analytical method by applying theories to historical facts and events, examining their consequences through analysis and deduction. Additionally, the comparative method is employed by comparing theories that discuss civilization to extract the commonalities and divergences. Lastly, the deductive method is used to infer the state of civilization from the texts of the Holy Qur'an.

Results: The study concluded that civilization is characterized by presence and appearance, refinement and progress, and is preceded by a state of nomadism. The distinguishing factor of civilization is stability. Civilizations often emerge in the form of states or political systems, while culture is a characteristic found in all peoples of the world. In contrast, civilization is considered an indicator of an advanced stage that combines culture and urbanization. According to its proponents, civilization goes through three general phases: a dominant spirit during its inception, the dominance of reason and materialism at its peak, and its decline and disintegration during a phase of moral decay, excessive indulgence, and the breakdown of the ethical system. The Islamic perspective on civilization is linked to human effectiveness. When humans rise, civilization thrives, and when they decline, it reverts to primitiveness.

Conclusions: This study concludes that civilization is the result of diligent human work. This study emphasizes the exploration of the factors of nationalism and religion and their impact on Arab societies and the course of civilization.

Keywords: Civilization, Elements of Civilization, The Civilizational Cycle, Culture, The state.

ماهية الحضارة ومقوماتها وتدهورها والمنظور الإسلامي لها

*عامر علي النعيمي**

قسم العقيدة والدعوة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، دولة قطر

ملخّص

الأهداف: تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الحضارة من حيث الماهية، والدورة الزمنية، والعلاقة بينها وبين الثقافة والمدنية، ودور الدولة أو النظام السياسي في الحفاظ على الحضارة، وإستنباط حالة الحضارة في سياق نصوص آيات القرآن الكريم لقياس المنظور الإسلامي لها.

المنهجية: تستند الدراسة على المنهج التاريخي الاستقرائي بالعودة إلى أصول المصطلحات الواردة في الدراسة واستقراءها وقياس أبعاد التغيرات التي طرأت عليها. وكذلك المنهج الوصفي من خلال عرض ووصف النظريات التي تناولت الحضارة والمنهج التحليلي بالاعتماد على ما وُصف بإسقاط النظريات على الوقائع والأحداث التاريخية وفحص مآلاتها مع التحليل والاستنباط. واستخدام المنهج المقارن عن طريق عمل مقارنة بين النظريات التي تناولت الحضارة واستخلاص أبرز المشتركات والمفترقات والمنهج الاستنباطي لاستنباط حالة الحضارة من نصوص القرآن الكريم.

النتائج: توصلت الدراسة إلى أن الحضارة من الحضور والظهور، ومن التحضر والتقدم، ويسبقها حالة البداوة، والعامل الذي يميزها عامل الاستقرار. الحضارات غالباً تولد في هيئة دول أو أنظمة سياسية، كما أن الثقافة سمة موجودة لدى كل شعوب العالم، بخلاف الحضارة بإعتبارها مؤشر على مرحلة متقدمة تجمع بين الثقافة والمدنية. أطوار الحضارة عند منظريها عامةً ثلاثة: الروح سائدة عِند نشأة الحضارة، العقل والمادة مسيطرين على إنسان الحضارة في ذروتها، تدهور وانحلال الحضارة يكون في طور انفلات وسيطرة الغرائز وضعف النظام الأخلاقي والترف الزائد. المنظور الإسلامي للحضارة، مقترن بفاعلية الإنسان، فإذا ارتقى الإنسان صار للحضارة، وإذا انحدر عاد للبدائية.

الخلاصة: أن الحضارة نتيجة لعمل إنساني دؤوب توصي الدراسة بالبحث في عوامل العصبية والدين وأثرهما على الشعوب العربية ومسيرة الحضارة.

الكلمات الدالة: الحضارة، مقومات الحضارة، الدورة الحضارية، الثقافة، الدولة.

1. المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، النبي الكريم محمداً ابن عبدالله -صلى الله عليه وسلم-،

أما بعد،

مر التاريخ القديم بحِقَب ومراحل عديدة، منها ما كان بدائياً، انتهى وطوى التاريخ صفحاته، ومنها ما كان حركة إنسانية متقدمة، شكلت الحضارة أبرز معالمه، ودل العمران والآثار والأطلال عليه، وعبر عنه القرآن الكريم في الآية الكريمة: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ (هود: 100). فمنها ما زال وأندثر، ومنها ما بقي دالً على تلك الحضارات والآثار الإنسانية.

وعلى مر العصور، لعبت الحضارة دوراً هاماً في الازدهار والتقدم على المستويين الإنساني والاجتماعي، إلا أن ذلك لم يمنع الحضارات من أن تضمحل وتتدهور أو تنتهي من التاريخ الإنساني كما وُلدت. ولا شك، أن لذلك عدة عوامل، فكما للحضارة مقومات صعود، لها مقومات هبوط وانحلال، إذ لكل شيء ضده، ولا يمكن معرفة الشيء إلا بقياسه على الأضداد. وفي الوقت المعاصر، المفاهيم أصبحت متغيرة، ومع تطور وسائل المواصلات، باتت الحضارات أقرب لبعضها البعض وأكثر تداخلاً، فظهرت العولمة، التي جعلت من العالم بجميع أقطاره حيز صغير، وطغت اللغة الإنجليزية فيه كلغة عالمية أولى على العالم، في مقابل تراجع بعض لغات الحضارات الأخرى، وبدأ العصر الإنساني يشهد اختراع الإنترنت وعصر سهولة الحصول على المعلومات، وهذا بدوره ينعكس على الحضارات التي أصبح دورها أقل تأثيراً من الناحية الثقافية "المعنوية" مقارنة مع الحضارات التي تفوقت عليها من ناحية العلوم والاختراعات وباتت تحمل مفاتيحها، وهذا بدوره يُحيل إلى قضية أخرى خارج موضوع الدراسة ألا وهي "صِدام الحضارات" التي من وجهة نظري أراها صدمة ثقافات.

وتلعب الحضارة دوراً محوريا في تشكيل مستقبل الجماعة الإنسانية من عدمه، ولا ريب أن مشكلة أي جماعة إنسانية، إنما تتعلق في لُبها بثقافته وحضارته، وإذا ما أرادت الجماعة الإنسانية التقدم، فإن عليها أن تعرف مقومات نشأة وقيام الحضارة وانهيارها، ودون الإلمام بذلك، فإن الجماعة الإنسانية تصبح كالمركب الذي يسير وسط الأمواج دون وجهة محددة، ومصير مجهول تسير بها الأمواج حيثما تشاء. وهذا ما كان عليه العرب قبل البعثة النبوية، كانوا جماعة إنسانية لا وجهة لها، وذات مصير مجهول، تخضع تحت رحمة الحضارات التي تُحيط بها، إلى أن بعث الله عز وجل لها خاتم الأنبياء والمرسلين الذي حدد لها البوصلة، وقادها لتصبح أعظم أمة قدمت إسهامات إنسانية على مر التاريخ، وجمعت بين القيادة الدينية والسياسية، وما إن أضاع الخلف البوصلة حتى بدأت تلك الحضارة تدخل في مرحلة الهرم مرةً أخرى.

ولأن الحضارات كانت ولا زالت من أعظم الإسهامات الإنسانية التي انعكست على الأرض والإنسان، تُخصص هذه الدراسة، لتناول الحضارة بتعريفاتها المتباينة، ومقوماتها، ودورتها الزمنية، وعلاقتها بالثقافة والمدنية والأنظمة السياسية ومنظور الإسلام لها.

1.1 إشكالية الدراسة

تسلط الدراسة الضوء على جذر كلمة حضارة لغوياً واصطلاحياً وتتمحور حول سؤال رئيسي وهو: ما أصل ومدلول كلمة الحضارة وما هي مقوماتها؟ وما علاقتها بمصطلحات مثل: الدولة، الثقافة، والمدنية؟

بجانب هذه السؤال الرئيسي، يتفرع عنه عدة أسئلة تحاول الدراسة الإجابة عنها، وهمَ كالآتي:

1. ما هي المرحلة الإنسانية التي تسبق الحضارة؟

ب- مما تشتمل عليه الحضارة عِند علماء الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية والاجتماع؟

ت- هل تسير الحضارة في حلقة مفرغة أم خط طولي؟

ث- ما هو المنظور الإسلامي للحضارة من حيث المقومات والدورة؟

2.1 أهمية البحث

شكلت الحضارة عِماد التقدم الإنساني، لأنها مرحلة متقدمة من المراحل الإنسانية، ولا شك أن المفاهيم السابقة حول الحضارة من حيث المفهوم، العناصر، الدورة، تقتضي إعادة دراستها وبيان مدى تطابقها مع الواقع المُعاصر في قيام الحضارة واستمراريتها وأسباب زوالها، إذ المجتمعات اليوم تعيش معظمها قِمة الرقي والتطور الحضاري، وفي ظل هذا التطور الهائل، بات الغالب يحمل رؤى تقدمية مادية، متصوراً الحضارة كالطود العظيم الذي لن ينفلق، وهذا يدعونا لدراسة الحضارة من أسباب النشأة إلى السقوط.

3.1 أهداف البحث

1- عرض للجذر اللغوي والاصطلاحي اللذين اشتقت منهما كلمة الحضارة.

2- شرح أصول مصطلحي الثقافة، المدنية، وعلاقة كلاً منهما بالحضارة.

3- تسليط الضوء على مصطلح "الدولة" عِند (ابن خلدون) والنظام السياسي ودوره في الحفاظ على الحضارة.

4- استعراض ومقارنة أبرز نظريات المنظرين عن الحضارة حول المقومات، الذروة، الانحلال.

5- بيان وتحليل الفوارق والمشتركات عِند العلماء في العناصر التي تُقوم الحضارة والمنظور الإسلامي لها.

4.1 منهج البحث

تستند الدراسة على المنهج التاريخي الإستقرائي، بالبحث في مدلولات كلمة الحضارة، وتطور المصطلحات الواردة في الدراسة، والنظريات التي نشأت حولها متسلسلة زمانياً، والمنهج الوصفي والتحليلي من خلال عرض آراء المنظرين والمفكرين حول موضوع الدراسة وتحليلها تحليلاً قائم على الفكرة وما يترتب عليها، ومقارنة نظريات العلماء حول مقومات الحضارة باستخدام المنهج المُقارن لتبيان المشتركات والاختلافات فيما بينها، والمنهج الاستنباطي لاستنباط حالة الحضارة في سياق نصوص القرآن الكريم. ومن خلال هذه المناهج، سيتم العمل على التوصل لنتائج تُثري الدراسة، وتنعكس على نتائجها.

2. تعريف الحضارة في اللغة والاصطلاح

1.2 المعنى اللغوي والاصطلاحي للحضارة

أولاً. الحضارة في اللغة:

الحضارة: الإقامة في الحضر (عن أبي زيد). وكان الأصمعي يقول: الحضارة؛ بالفتح، قال القطامي: الحضارة؛ "فمن تكن الحضارة أعجبتهُ؛ فأيَ رجالِ بادية ترانا". ورجل حضر: لا يصلح للسفر. وهم حُضور أي حاضرون، وهو في الأصل مصدر. والحضرُ والحضرة والحاضرةُ: خلافُ البادية؛ وهي من المدن والقرى والريفُ، سُميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار، والبادية يمكن أن يكون اشتقاق اسمها من بدا يبدو أي برز وظهر، ولكنه اسم لزم ذلك الموضع خاصة دون ما سواه. والحاضرةُ والحاضرُ: الحي العظيمُ أو القوم (ابن منظور، 1998م، ص907).

جاءت كلمة حضر في معجم مقاييس اللغة بمعنى: الحاء والضاد والراء إيراد الشيء، وروده ومشاهدته؛ وقد يجئ ما يبعد عن هذا وإن كان الأصل واحداً. فالحضرُ خلاف البدو، وسكون الحضر الحضارة. ويقال للحاضر: الحي العظيم. قال حسان: "لنا حاضرٌ فعم وباد كأنه، قطينُ الإلهِ عزةً وتكرُما" (ابن فارس، 1979م، ج2، ص75-76).

ووردت كلمة الحضارة في معجم اللغة العربية المعاصرة بمعنى: حَضارة (مفرد)، جمعها حضارات (لغير المصدر): مصدر حضَرَ، تمدن، عكس البداوة، وهي مرحلة سابقة من مراحل التطور الإنساني. وتشمل: مظاهر الرُقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحَضَر (عمر، 2008م، ص513).

على ضوء ذلك، نستخلص أن مفهوم الحضارة في اللغة يتم تأويله على معنيان، إحداهما الحضور والوجود، والأخر الإقامة في الحضَرَ "الاستقرار" وخلافه الغياب والأفول، والبداوة، والمجتمعات البدائية ما قبل "الحضارة" كانت تعيش مرحلة البداوة وتعتمد على أساليب بدائية ووسائل بسيطة في مرحلة حياتها مثل الاعتماد على الصيد والتنقل والترحال أينما توفر الغذاء ومصادر المياه، ويبدو أن انتفاء عامل الاستقرار هو الفيصل بين المعنى اللغوي في الاحتماليين، إذ حضور الحاضر متواتراً يعني استقراره على الشيء، والإقامة في الحضر تفيد معنى الاستقرار كذلك.

ثانياً. الحضارة في الاصطلاح:

الحضارة عِند (ابن خلدون): التفنن في الترف واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه، وسائر فنونه كالصنائع المهيئة للمطابخ، أو الملابس، أو المباني، أو الفرش، أو الآنية ولسائر أحوال المنزل (2004م، ص187).

ويرى عالم الأنثروبولوجيا (Howells) أن الحضارة كاصطلاح هي: وجود المدن، ووفرة الغذاء بما يلبي الحاجة، وتوافر الأسواق، وقيام التجارة. ويمكن إجمال ذلك في أن الحضارة هي ظهور مدينة مركزية، تتبعها الأرياف وتتخذها قبلة، مع انتعاش الاقتصاد، والتنظيم السياسي، ووجود نظام ديني يغطي نطاق المدينة وما حولها بحيث يذوب المجتمع في آلهة يؤمن بها المجتمع كله، لا معبودات قبلية لكل قرية، فالحضارة دولة لا قبيلة (1965م، ص433-334).

وعبر عنها (Durant) بقوله: الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون (1988م، م1، ج1، ص3).

وشرح مفهوم الحضارة (حداد) فذكر: أنها ذات مفهوم واسع يضم النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحياة الفكرية والفنية، والحضارة تبدأ حيث تنتهي الفوضى وينتهي الخوف لأنه لا يمكن الانتاج العقلي والتطلع إلى المعرفة وتذوق الحياة قبل التحرر من عامل الخوف (1953م، ص17).

والحضارة بمدلولاتها وتشعب تعريفاتها، يمكن إجمالها على أنها: حالة من التقدم والرُقي، ينبعان من التأثر بازدهار العمران، الفنون، الصناعة، العلوم بكافة أشكالها التي تعود بنتيجة إيجابية على إنسان الحضارة، وهي مرتبطة بعوامل أربعة إضافة إلى العوامل المذكورة أعلاه، يمكن تميزها بتوافرها في حضارة معينة: الاستقرار، السلام، الأمن، القواعد الأخلاقية الروحانية التي تنعكس بدورها على مجتمعات الحضارة واقتصادها مما يفتح المجال للتنمية والتقدم، إذ بانتفاء هذه العوامل تغيب شمس الحضارة عن تلك الأمة بشكل تدريجي وبعودتها تشرق كذلك بشكل تدريجي.

3. تباين تعاريف العلماء حول "الحضارة" ونظريات النشأة

1.3 تعاريف متباينة حول الحضارة

لقد عرف الحضارة عُلماء عدة ومؤرخين، تناولوها من حيث المفهوم بفكر متباين، ومن هذه التعريفات:

عرف (Tylor) الحضارة عن طريق استخدام لفظ "الثقافة" بدلاً من الحضارة فذكر أنها: الكل المركب الذي يجمع بداخله جميع المعتقدات، والقيم، والتقاليد، والقوانين، والمعلومات، والفنون، وأيّ عادات، أو سلوكيات، أو إمكانات، يمكن أن يحصل عليها فرد ما في مجتمع ما (1871م). وسبب استبعاده لكلمة حضارة، أنها بعيدة عن المقومات المعنوية لدى المجتمعات البدائية على حد تعبيره، وأكثر اتصالاً بالعمران والأمور المادية، لذا استخدم عوضاً عنها كلمة "الثقافة" لأن الثقافة حسب وصفه كانت أساساً لتشكل المجتمعات البدائية.

وعرفها (Linton) بقوله: فالمجتمع عبارة عن مجموعة منظمة من الأفراد، والحضارة مجموعة منظمة من الاستجابات التي تعلمها الأفراد وأصبحت من مميزات مجتمع معين (2010م، ج1، ص65).

وعبر عن الحضارة (مؤنس) فقال: الحضارة -في مفهومنا العام- هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية (1978م، ص13).

ورأى الحضارة (أبو خليل) على أنها: محاولات الإنسان الاستكشاف والاختراع والتفكير والتنظيم والعمل على استغلال الطبيعة، للوصول إلى مستوى حياة أفضل، وهي حصيلة جهود الأُمم كلَّها (1994م، ص20).

وينظر (Schweitzer) للحضارة على أنها: التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير (يقصد: المجتمع) على حد السواء (1960م، ص34).

2.3 نظريات حول نشأة الحضارة

في الواقع، تعددت النظريات والرؤى حول نشوء الحضارات وقيامها، فالبعض وضعها في إطار مكاني معين، والبعض الآخر جعلها في عِرق معين، ومنهم من جعلها ممكنة في أي مجتمع إنساني بشروط معينة، وسنتناولها في هذا الجزء.

يرى (Durant) أن نشأة الحضارة مرتبط بعاملين أساسيين وهما: الأرض والعمل، وموارد الأرض الطبيعية التي تحولها رغبة الإنسان وجهوده وتنظيمه إلى ما فيه منفعته (1988م، م4، ج2، ص106).

ومن ناحية ارتباط نشأة الحضارات على يد عِرق أو جنس بعينه، يجيب (Toynbee) عن ذلك بقوله: لا شروط عرقية لقيام الحضارة، إذ يمكن أن تظهر في أية قارة. وبحسب إعادة صياغة (أبو خليل): لا يوجد عرق متفوق بدأت الحضارة على يده (1994م، ص20).

ترتبط الحضارة ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ الإنساني وحسب رؤية المؤرخ (Durant) فيرى أن الصيد كان شكلاً من أشكال التحضر للإنسان البدائي القديم فيقول: لم يكن الصيدُ والسماكة مرحلتين من مراحل التطور الاقتصادي، بل كانا وجهين من أوجه النشاط التي كُتب لها أن تظل باقية في أعلى صور المجتمع المتحضر (1988م، م1، ج1، ص14). ربط المؤرخ الأميركي، بداية تحضر الإنسان البدائي مع الصيد سواء البري أو البحري فعندما بدأ الإنسان القديم تعلم استخدام الأدوات في الصيد تمكن من أن يتحضر بمقياس تلك المرحلة، وهو بذلك، عدها من أوائل المراحل تحضراً في تلك العصور القديمة.

أما (أنيس) فيعتقد أن الحضارة كان لها معابر قبل الظهور على ساحة التاريخ فيذكر: أن ظهور الحضارات القديمة كان في وادي الرافدين، وشرقي النيل، وقبل ظهور هذه الحضارات، مر الإنسان بحقب تاريخية طويلة، كالعصر الحجري القديم (حوالي 10,000 ق.م إلى 5000 ق.م) الذي امتد ما يقرب الخمسة الآلاف سنة قبل الميلاد، ولحقه العصر الحجري الحديث (5000 إلى 3000 ق.م) الذي امتد لما يجاوز الآلفين سنة قبل الميلاد، ثم العصر البرونزي (3000 إلى 1200 ق.م) الذي امتد لـ آلف وثمانمائة سنة قبل الميلاد، وأخيراً العصر الحديدي (1200 إلى 700 ق.م) الذي استمر لما يقارب الستمائة سنة قبل الميلاد، وفيه اكتشف الإنسان الحديد وصقله (1967م، ص11).

كان العصر الحجري القديم أبرز ميزاته هو اعتماد الإنسان على الصيد لأغراض التغذية، وفي نفس العصر تمكن الإنسان القديم من اكتشاف النار، وشكل هذا الاكتشاف تطور غير عادي في الحياة الإنسانية. إذ من شدة إعجاب الإنسان القديم بالنار وتقديسه لها عدها إلهاً وعبدها، فكانت الضوء في حُلك الظلام، والدفء في شدة البرد، وساعدته على طهي الطعام واستساغته، وفيما بعد في تطويع البرونز والحديد بعد اكتشافه.

وفي العصر الحجري الحديث، بدأ الإنسان القديم يؤسس تجمع خاص به على هيئة قرية أو بلدة صغيرة لا مركزية، وبدأ بتربية الحيوانات الداجنة واستئناسها، علاوة على اكتشافه للزراعة التي تعتبر أهم محطات ونقلات ذلك العصر، وظهور الكتابة إذ اعتبرت طور من أطوار انتقال الإنسان إلى التحضر والتمدن، فمن خلال الكتابة استطاع تنظيم شؤون حياته وتوثيقها.

وبالنسبة للعصور اللاحقة مثل: العصر البرنزي استطاع الإنسان اكتشاف البرونز والمعادن. والعصر الحديدي الذي يعود اشتقاق اسمه أصلاً من اكتشاف الإنسان للحديد فتعلم خلاله كيفية صقله وظهرت الأدوات المصنوعة من الحديد. ويمكن القول أن اكتشاف الزراعة والحديد والكتابة، أبرز الأحداث في العصر الإنساني ما قبل التاريخ، ونقطة تحول كبيرة باتجاه الحضارة.

أما نشأة الحضارة عِند (ابن خلدون) هي انتقال من حالة البداوة إلى حالة الحضارة ويعد مرحلة الحضارة أوج الترف والتمدن، ومنتهى الثقافة وغاية العمران، فعدها علامة على نهاية العمران. وجدير بالذكر أن (ابن خلدون) تناول الحضارة في هيئة الدولة والعمران، وهو بذلك يربطها بالنظام السياسي، وقد يكون تفسير رؤيته هذه للحضارة هو العصر الذي نشأ فيه وعاش، وسمع عن أحوال الدول وقيامها وسقوطها، كالدولة الأموية التي ارتبطت بهوية حضارية معينة، تلتها الدولة العباسية، التي كانت لها كذلك هوية حضارية ذات طابع معين، فنظر لها على أنها الحضارة التي تسبق نشأتها البداوة.

ويرى (Toynbee) أن الحضارة لا يمكن أن تنشأ في ظل ظروفٍ تتسم بالسهولة، لأنه ينظر إلى سهولة الحياة وغياب التحدي، سبب من أسباب جعل الجماعات الإنسانية بعيدة عن الحضارة وأقرب للسكون، وأكد على نظريته تلك، من خلال وضعه أساس قائم على ما اسماه بـ "التحدي والاستجابة" فجعل التحدي سبب والاستجابة رد فعل، بناءً عليها تحصل نتيجة معينة وهي الحضارة، وعلل ذلك بقوله: أن التحدي نوعان احدهما طبيعي، والأخر بشري، الطبيعي هو شيء خارج عن الإرادة للجماعة الإنسانية، والبشري هو اكتساب الجماعة نزعة الصلابة في مواجهة التحديات الطبيعية، فينظر إلى الشعوب التي تعيش في محيط متقلب، وفي مواجهة المخاطر والغزو على أنها شعوب لديها تحديات وجودية دائمة، ولديها حاجات متغيرة تقودها نحو الاختراع للمواكبة، وتُكسبها مهارات استجابة متنامية لمواجهة تلك التحديات وهذا ما يدفعها مع الوقت لتصبح أمة حضارية.

ويبدو أن (Toynbee) قد طبق نظرية "التحدي والاستجابة" على كلاً من الحضارة المصرية القديمة والسومرية. فهو ينظر إلى المجموعة الإنسانية التي كانت تقطن جنوب وادي النيل، على أنها قبل قيامها كانت تنقسم إلى ثلاث مجموعات، وقد ظهر لهم التحدي الطبيعي، فقسمهم إلى ثلاث أقسام حينها، فقسم تمسك بالأرض وأصبح متأقلماً مع الظروف الجديدة، فصار من البدو وبعيد عن الحضارة، بينما القسم الثاني، ركن إلى أقرب الطرق يسراً، وذهب للجنوب، حيث الأجواء الاستوائية، وعاشوا حياة بدائية، أما الأخير، ذهب شمالاً واستجاب للتحديات التي واجهها في تلك المنطقة الجغرافية، وطوع تلك البيئة الصعبة التي عاش في ظلها، ونتيجة ذلك ظهرت الحضارة المصرية القديمة بعمرانها ونهضتها عند هذا القسم. ويمكن إجمال هذه النظرية بجملة شهيرة اليوم وهي "الحاجة أم الاختراع"، فوجود التحدي مع الاستجابة مرة بعد أخرى، يولد لدى الجماعة الإنسانية شعور بالحاجة للتطوير والتنمية، يقودها للابتكار والاختراع تفادياً لتحدي يواجهوه فيغلبهم.

وقد رأى (Toynbee) أن بعض التحديات وفشل الجماعة الإنسانية في مواجهتها أو حتى تلافيها بالهجرة قد يعرضهم للفناء فقال: ففي حالة أولئك الذين عزفوا عن تغيير مواطنهم وتبديل طريقة معيشتهم كان الانقراض جزاء فشلهم في الاستجابة لتحدي الجفاف (2011م، ج1، ص116). فتحديات طبيعية كالزلازل، الأوبئة، والجفاف.. قد تؤدي بالجماعة الإنسانية إذا فشلت بالتعامل معها للفناء، ونجد أن البدو غالباً ما يغيرون مناطقهم بشكل دائم، بحثاً عن الماء والغذاء وهروباً من التحديات الطبيعية وهذا ما يدفعهم إلى أن يكونوا أبعد عن الحضارة لانتفاء عامل الاستقرار والاستجابة للتحديات، والهجرة ليست عامل سلبي، بل إيجابي وفعال في بعض الظروف، فنجد اليوم عدد لا بأس به من الكيانات السياسية التي تنضوي تحت الحضارة الإسلامية باتت أمم حضارية وقد أسسها بدو مُهاجرون؛ إلا أن الهجرة انتهت باستقرار ومواجهة للتحديات.

وكان لـ (مناف) رؤية حول علاقة نشأة المدن بالحضارة، فقال: أن التطور الذي ساد في ميادين كالزراعة والتجارة وغيرها، أحدث نقلة في المجتمعات الإنسانية، فصار المجتمع قسمان، قسم سائد، وقسم يعيش من فائض الإنتاج، ويرى أن هذه الأسباب هي التي أدت لظهور فكرة قيام الدول، غايةً في التنظيم الذي بات المجتمع بحاجه إليه، كالتنظيم الاجتماعي والاقتصادي، ويعول على أن نشأة المدن هو نتيجة للتطور الحضاري لا سبب لها، فالانقسام الاجتماعي على أساس فائض الإنتاج قاد لضرورة نشأة المدن (2011م، ص15). والحقيقة أن لهذه الرؤية واقع عملي حدث قبيل عصر النهضة الأوروبية، إذ مع ازدهار التجارة في أوروبا آنذاك، وزيادة فائض الإنتاج مع ارتفاع في عدد السكان؛ كل هذا أدى لتحول القرى الإقطاعية في أوروبا إلى مدن في وقت قياسي، كما أن عدد من العواصم العربية والإسلامية اليوم كان نتيجة تأسيسها التطور الحضاري بعد حصول فائض انتاجي من الموارد الطبيعية، ولا نجد لها وجود أو صحة لإطلاق لفظ المدينة عليها قبل ذلك.

4. نظريات الثقافة والمدينة وعلاقتهما بالحضارة

لاصطلاحي "الثقافة" و"المدنية" تأثيراً ودوراً انعكس على تعريف الحضارة، وقد عدهما البعض تارةً عنصر من عناصر الحضارة وآخر مكون من مكوناتها، والحقيقة أن ذلك عائد لترجمة المصطلحين من لغة أجنبية إلى اللغة العربية فأثار ذلك لبساً، وعلى ذلك، سنعود لأصل واشتقاق الكلمتين، ودور الترجمة من لغة لأخرى في هذا اللبس، وخط تاريخ استخدامهما في اللغة العربية.

1.4 تعريف الثقافة والعلاقة بينها وبين الحضارة

جاء في لسان العرب أن كلمة ثقف تعني: الحذق، وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقاً خفيفاً، وثقف أيضاً ثقفاً، مثل: تعب تعباً أي صار حاذقاً فطناً. وفي حديث الهجرة: وهو غلام لَقِنٌ ثَقِفٌ؛ أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنهُ ثابت المعرفة بما يحتاج إليه (ابن منظور، 1998م، ص492).

وعرفت منظمة (اليونيسكو) من عام 1982م، الثقافة على أنها: مجموعة من السمات الروحية، المادية، الفكرية والعاطفية التي يتميز بها مجتمع معين، أو فئة إنسانية واجتماعية معينة، وتشتمل على الفن، الأدب وأساليب الحياة، والحقوق الأساسية للإنسان والنظم والقيم والتقاليد والمعتقدات، وجميعها تُعبر عن ثقافة تمنح الإنسان القدرة على التفكير في ذاته، وتصنع منه كائن يمتاز بالإنسانية العقلانية، وقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي،

ومن خلالها يهتدي إلى القيم، ويمارس الاختيار، فهي وسيلة للإنسان للتعبير عن ذاته، والتعرف عليها، على هيئة مشروع غير مكتمل، وإعادة النظر في الإنجازات، والبحث عن مدلولات حديثة وإبداعية يتفوق فيها على نفسه. ونلحظ أن هذا التعريف حديث نسبياً ومُعاصر، أعيد صياغته بما يتناسب والعصر. وقد تشابه تعريف (الإلسكو) و (الإيسيسكو) للثقافة مع تعريف (اليونيسكو) مع إعادة صياغة وتنظيم للتعريف ذاته.

وعرفها عالم الاجتماع (Giddens) أنها حسب علماء الاجتماع: جوانب الحياة الإنسانية التي يكتسبها الإنسان بالتعلم لا بالوراثة. ويشترك أعضاء المجتمع بعناصر الثقافة تلك التي تتيح لهم مجالات التعاون والتواصل. وتُمثل هذه العناصر السياق الذي يعيش فيه أفراد المجتمع. وتتألف ثقافة المجتمع من جوانب مُضمرة غير عيانيه مثل: المعتقدات؛ الآراء؛ القيم؛ التي تُشكل المضمون الجوهري للثقافة، ومن جوانب عيانيه ملموسة مثل: الأشياء؛ الرموز، والتقانة التي تُجسد هذا المضمون (2005م، ص82).

ويرى (الجلي) أن كلمة ثقافة ذات مدلول معاصر فيقول: لم تعرف وتستخدم كلمة الثقافة إلا بعد اتصال العالم الإسلامي بالثقافات والحضارات الأجنبية (يقصد: ازدهار حركة الترجمة بين الشرق والغرب)، التي شاع فيها استعمال الكلمة بمعناها الحديث تحت اسم (Culture) (2010م، ص22).

وحسب (بن نبي) فإن الثقافة كلمة مستوردة فيقول: فليس لنا أن نعجب إذا لم نجد كلمة (ثقافة) في وثائق العصر أو في مؤلفات ابن خلدون؛ لأن فكرة (الثقافة) حديثة جاءتنا من أوروبا (نبي، 2000م، ص24).

وكلمة الثقافة في أصلها العربي لا صلة بينها وبين كلمة (Culture) في اللغة الألمانية أو الفرنسية التي لها معنى حصيلة ما يزرع، فهي في هذا الأصل لها جذور عقلية. بينما، هي في العربية لها جذور أخلاقية (السائح، 1986م، ص37).

ونجد في اللغة الإنجليزية المصطلح (culture) ويتمثل معناه في عدة دلالات منها: ارتباطه بـ فن الزراعة أو علم الزراعة (Agriculture)، والتنمية التي هي نتاج للتعليم والخبرة في المجتمع، السلوك الراقي والذوق الفكري. فلفظ (culture) يعني السمات الإبداعية والفنية والعلمية الراقية الناتجة عن حضارة أو شخص ما. إلا أن أصل الكلمة يدل على الزراعة وثقافة الزراعة، وهذا تأكيد (بن نبي) فذكر ذلك بقوله: أن الأوروبي عامة والفرنسي خاصة هو "إنسان الأرض"، وأن الحضارة الأوروبية هي "حضارة الزراعة"؛ وعليه فإن العمليات التي تستنتج من الأرض خيراتها كالحرث والبذر والحصاد، لها بالضرورة دور هام في نفسية الإنسان الأوروبي، كما لها دوراً هاماً في صياغة رموز حضارته؛ إذ أن الزراعة هي العملية التي تضم بين دفتيها جميع العمليات السابقة، فهي التي تحدد وتنظم إنتاج الأرض (2000م، ص26). علاوة على أن (Durant) كان قد أشار إلى ذلك بقوله: إن الثقافة لترتبط بالزراعة وذلك من خلال اشتراك كلمتين (Culture & Agriculture) كما ترتبط المدنية (يقصد: الحضارة)؛ بالمدينة (1988م، م1، ج1، ص5).

وقد رجع (بن نبي) أصول ظهور المصطلح إلى عصر النهضة عندما ظهر الأدب والفن وتعاظمت قيمة الفكر في أوروبا، فصار إطلاق الثقافة على الأشياء المعنوية ذات القيمة، بدلاً من المادة، فصار اللفظ اطلاقاً ينم عن استعاره مجازيه. وعرف (بن نبي) الثقافة على أنها: مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه (2000م، ص74). وهو بذلك أعاد لها مدلولها في اللغة الأخلاقي واستبعد المعنى الدخيل الرائج.

والحقيقة أن كلمة "الثقافة" قد عبرت بطريق طويل قبل استقرارها على المفهوم الشائع والمنتشر اليوم، فأول ارتباط لها كان بالزراعة ثم بتنمية العقل والفكر إلى أن صارت الكل المركب الذي يعكس التقدم والتحضر ومن ثم أدرجت المفاهيم ذات الطابع المعنوي كالقيم والأخلاق والقانون والنظم وغيرها من الأمور إلى هذا التعريف.

نجد كلمة (culture) كانت قد تُرجمت على معنيان إلى ما يرادفها باللغة العربية، فذهب اتجاه إلى ترجمتها بمعنى "الثقافة" وأول من ترجمها بهذا المعنى (سلامة موسى) واستنتج هذا المفهوم من (ابن خلدون)، وفُسرت الثقافة لدى هذا الاتجاه بالجانب الذهني أو المعنوي، وعندما ترجم كلمة الحضارة (civilization) حملها على ما يتعلق بالأشياء المادية.

بينما، ذهب الاتجاه الثاني إلى ترجمة كلمة (culture) على أنها مرادف لكلمة "الحضارة" في اللغة العربية وكان استخدام هذا اللفظ لأول مرة بين أوساط علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا خلال ترجمتهم للمؤلفات الأوروبية إلى اللغة العربية.

والواقع أن الفروق بين الثقافة والحضارة تظهر في أن الثقافة ذات ميل معنوي وطابع روحي، بينما الحضارة كيان أقرب للمادة ونتيجة لها أثر ملموس. وتتميز الثقافة في أنها ذات تصور عام لمجموعة إنسانية اجتماعية بعينها. في حين، نجد الحضارة ممتدة النطاق وتتسع لتشمل عِدة شعوب وأمم، فمثلاً نقول للدول العربية حضارة إسلامية + ثقافة عربية = حضارة عربية إسلامية، أما إيران مثلاً، نقول حضارة إسلامية + ثقافة فارسية = حضارة فارسية إسلامية، فكلمة العربية الأولى تُشير إلى الثقافة، وكلمة فارسية تعني أيضاً الثقافة إلا أنهما يجتمعان في حضارة واحدة اليوم. ومثالين على ذلك: الحضارة الرومانية، التي كانت مترامية الأطراف، وأثبت العلم اليوم أطلالها التي توجد في بقاع عديدة ومتنوعة من العالم. ولكن، الثقافة كانت متنوعة ما بين روما مثلاً وتدمر، ما بين لندن والقسطنطينية، ما بين أثينا وصيدا، ما بين عكا وباريس، إلا أنها كانت تخضع لهوية حضارية واحدة آنذاك، فنجد الطراز المعماري السائد هو ذاته..

والمثال الثاني: الحضارة الإسلامية التي شملت رقعة كبيرة من العالم، من الأندلس إلى أجزاء من الصين وجنوب شرق آسيا اليوم، فشملت شعوب

متعددة الأعراق ومختلفة الألسن، شكل الإسلام أساس ولُبنة لها. بينما، الثقافة العربية فنلحظ أنها ذات نطاق أضيق، متحدد بـ ما يُطلق عليه اليوم "الوطن العربي". وبالمجمل، الثقافة تبرز في اللسانيات والعلوم الإنسانية بشكل عام. والحضارة تظهر في العمران، الاختراعات، العلوم، الابتكار والصناعة، وما خلفته الحضارة الإسلامية ورائها في الأندلس من عمران، خير دليل على هوية الحضارة الإسلامية وأطلالها الباقية إلى اليوم، والثقافة أصبح تأثيرها طفيفاً في الأندلس بعد السقوط، ببقايا بعض العادات والكلمات العربية التي لا زالت في اللغة والذاكرة الإسبانية، إلا أن سبب تدهورها، هو الهجرة القسرية للمجتمعات العربية التي كانت تُقيم هناك، فلم تفن ثقافتهم إنما انتقلت بانتقالهم.

إلا أن (Huntington) يصف الحضارة وصفاً معنوياً ومادياً وأقرب للثقافة، وعلى أثر ذلك رسم نظريته حول صِدام الحضارات، إلا أن الحضارات في الواقع لا تتصادم، إنما الثقافات هي التي تتصادم وتتأثر بغزو بعضها البعض، وأقرب دلالة على ذلك، عندما يسافر الشخص من بيئة وثقافة معينة لأخرى يتعرض في الغالب لما يسمى (صدمة ثقافية)، وفي اصطلاح اللغة الإنجليزية (Culture Shock)، وخير مثال على أن الحضارات لا تتصادم إنما تأخذ من بعضها البعض وتندمج وتذوب في قالب مختلط، البلدان التي وصلها الفتح الإسلامي، نجد أنها حافظت على حضارتها المحلية، ودمجتها مع الحضارة الفاتحة "الإسلامية"، علاوة على أن الحضارة العربية الإسلامية اليوم ليست خالصة، بل هي نتاج تأثير وتأثر بحضارات أسهمت فيها. وعلى ضوء ذلك، لا يتصور الصِدام الحضاري، إنما الثقافي، وحركة العولمة اليوم حركة ذات أبعاد ثقافية في أصلها. والغزو الفكري اليوم مرتبط بالثقافة لا الحضارة، ونجد (Huntington) عاد في نظريته مرةً أخرى وأكد على أن الاختلافات الثقافية هي التي ستكون المحرك الرئيسي للنزاعات بين البشر مستقبلاً.

وخير دليل اليوم على بوادر الصِدام الثقافي، مسائل كحقوق الإنسان التي تحتمل منظور مختلف وفقاً لكل ثقافة، بل أن المصطلح ذاته مطاطي، فنجد الغرب قبل عقود مثلاً يجرمون المثلية، ثم يبيحونها، وغيرها الكثير من الأمثلة.. كنسب الطفل لوالدته، وثقافة الحرية المطلقة كل هذه الأفكار الغربية، ومسائل الميراث والزواج المدني، بدأت تغزو الثقافة الإسلامية وتصطدم بها، وهذا مثال بسيط على القضايا التي قد تؤدي للصدام الثقافي نظراً لاختلاف الثقافات والرؤى بين الشعوب، علاوة على ما يحدث مؤخراً من الضغوط الغربية التي تحمل إيدلوجيا ثقافية معينة تحاول فرضها على دولة قطر التي تستضيف كأس العالم، لدليل على النزعة الصدامية لدى الشعوب نظراً للاختلاف الثقافي بين ثقافة وأخرى.

ولكن السؤال هو هل الثقافة لها نفس الدورة التي تطرأ على الحضارة؟ والواقع، مع التعاريف المتعددة حول الثقافة، تُحيل إلى أن الثقافة شيء معنوي، لا يفنى، لأنه غير مرتبط بالإنسان الفرد إنما بالمجتمع، فلا يطرأ عليه ما يطرأ على الإنسان من دورة بيولوجية، فالإنسان يموت، والحضارة تتعرض للتدهور أو الزوال والطمس، إلا أن ثقافتها تبقى لأنها مرتبطة بالجماعة الإنسانية التي تتوارثها أجيالاً متعاقبة، إلا أن الثقافة تُصيبها الأزمات نتيجة الفجوة بين الأفراد والمجتمع. وعبر عنها (بن نبي) بقوله: تنشأ أزمة ثقافية مآلها البعيد أفول الحضارة، وفي القريب زوال الالتزام بين المجتمع والفرد (2000م، ص91). وقد أولى (Durant) الثقافة أهمية في المجتمع الإنساني فقال: لكي تنتقل الثقافة على مر الأجيال، فلابد أن نورث الناشئة تراث القبيلة وروحها، فنورثهم نفعها ومعارفها وأخلاقها وتقاليدها وعلومها وفنونها، سواء كان ذلك التوريث عن طريق التقليد أو التعليم أو التلقين، وسواء في ذلك أن يكون المربي هو الأب، أو الأم، أو المعلم، أو القسيس، لأن هذا التراث ما هو إلا الأداة الأساسية التي تحول النشء من مرحلة الحيوان إلى طور الإنسان (1988م، م1، ج1، ص7).

والثقافة عِند (بن نبي) الدم في جسم المجتمع، يغذي حضارته، ويحمل أفكار "النخبة" كما يحمل أفكار "العامة"، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة، والاتجاهات الموحدة، والأذواق المتناسبة. وللثقافة أربعة عناصر تتمثل في الأخلاق لربط الصلات الاجتماعية والجمال للذوق العام، والمنطق العملي لأشكال النشاط العام، والفن التطبيقي الموائم لمختلف أنواع المجتمع (1986م، ص86).

ويرى (مؤنس) أن الثقافة: ثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع عن البيئة ومعبر عنها أو مواصل لتقاليدها في هذا الميدان أو ذاك، فالشعر الإنجليزي والموسيقى كلها مظاهر ثقافية، لأنها تعبر عن الطبيعة الإنجليزية وطبيعة منشئيها، وكذلك الحال بالنسبة للأدب العربي والموسيقى العربية وتراثها الأدبي في جملته واحد (1978م، ص318). وبالنتيجة يمكن القول أن الثقافة خاصة كما أشرنا أعلاه بمثال: الثقافة العربية، والحضارة مشتركة كالحضارة الإسلامية.. الغربية وغيرها، فعلم الطب بقواعده هو نفسه في كل بلاد الدنيا، وكذلك علم الهندسة، لأن العلوم عالمية اليوم، واللغة هي الفارق الوحيد بينها إلا أن التطبيق واحد، أما الفنون والتراث، والأدب، والموسيقى، والشعر.. فهي أميل للخصوص وللجانب الثقافي.

وإذا ما عرفنا الثقافة الإسلامية بتعريف (عز الدين التميمي) لها: هي المعارف الإسلامية كعلم التوحيد والفقه والتفسير والحديث وعلوم القرآن والحديث، واللغة العربية، ومصطلح الحديث وعلم الأصول (2004م، ص13).

وبتعريف (عمر الخطيب) بقوله: أنها الصورة الحية للأمة الإسلامية، فهي التي تحدد ملامح شخصيتها، وقوام وجودها، وهي التي تضبط سيرها في الحياة، وتحدد اتجاهها فيه، إنها عقيدتها التي تؤمن بها، ومبادئها التي تحرص عليها، ونظمها التي تعمل على التزامها، وتراثها الذي تخشى عليه من الضياع والاندثار، وفكرها الذي تود له الذيوع والانتشار (2000م، ص13). والثقافة شقين ثقافة محلية وثقافة سائدة، وهما متداخلان، كالثقافة العربية الإسلامية، والثقافة الفارسية الإسلامية، والثقافة الأمازيغية الإسلامية، فنجد أنها تحمل شق محلي وسائد، فالشق المحلي للثقافة العربية مثلاً العرف والتقليد، بينما السائد ما تنص عليه الشريعة.

وبهذه التعاريف حول الثقافة من منظور إسلامي، نجد أنها مبادئ وقيم ومعارف وتفاعلات وتراث متجدد بين ماضي وحاضر بين سلف وخلف لا يمكن أن يتعرض للفناء الكامل لأنه مرتبط بوجدان مجموعة اجتماعيه من البشر.

2.4 تعريف المدنية والعلاقة بينها وبين الحضارة

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة كلمة مدَّن الشَّخص أو مدَّن الشيءَ: أي حضره، نقله إلى حالة الرقي والحضارة. والمدنية: الجانب المادي من الحضارة كالعمران ووسائل الاتصال والترفيه، يقابلها الجانب الفكري والروحي والخلقي من الحضارة (عمر، 2008م، م1، ص2080). وهذا التعريف الأقرب لمصطلح المدنية اليوم، أما في المعاجم والقواميس الخاصة باللغة العربية القديمة، فلم نجد فيها إلا تعاريف تدور حول المدن، وحالة التحول من الريف إلى المدينة، والتمدن بمعنى التحضر.

ويعتقد (أبو خليل) أن كلمة مدنية: مشتقة من الحياة المدنية، كما أن الكلمة الأجنبية التي تقابلها (Civilization) مشتقة من المدنية (Civilis) أساساً، أو بصورة مباشرة من ساكن المدينة (Civic) أو من (Civilis) وهو ما يتعلق بساكن المدينة. والمدنية: كلمة مشتقة من مدَّن المدائن، بمعنى حضرها وبناها، ونحتوا منها فعل تَمدَّنَ، وجعلوا معناه تخلَّق بأخلاق أهل المدن، وخرج من حالة البداوة، ودخل في حالة الحضارة. والتمدين يعني الرغبة في حياة أغنى، أرقى، فهي: التقدم العلمي والتكنولوجي والرفاهية والرُقي الذي وصلت إليه المجتمعات (1994م، ص20).

ومن وجهة نظر (Durant) فإن الحضارة والمدنية كلمتين تم اشتقاقهما من معنى واحد. وقد استخدم العبارتين في مُجلدة (قصة الحضارة) وحملهما على معنى واحد. وفسر المدنية على أنها حالة رقي في التعامل والسلوك المهذب، وهو يرى أن المدنية تبدأ في كوخ الفلاح (بمعنى: الريف)، ولكنها لا تزدهر إلا في المدن (1988م، م1، ج1، ص5). وهذه الرؤية تقترب من نظرية (ابن خلدون) إذ أنه يرى أن أهل البادية إذا ما سنحت لهم الفرصة للإقامة في المدن؛ فإنهم يتمدنون ويرتقي أسلوب حياتهم.

وقد كان لحركة الترجمة ما بين الشرق والغرب دوراً في ترجمة كلمة (civilization) إلى ما يقابلها في اللغة العربية بـ(مدنية) وهذا الجانب حمل الترجمة بمعنى حرفي إلى ما يقابلها في اللغة العربية. أما، الاتجاه الأخر فترجم الكلمة إلى (حضارة). وكلمة (civilization) ترجمت إلى مفردتين باللغة العربية وبالرجوع إلى معاجم ومقاييس اللغة العربية نجد أن المضمون مشترك فيما بين المدنية والحضارة. إذ المدنية تُشير إلى ساكن المدينة، ومفرد حضارة حضر، وهي من الإقامة في المدن، بالانتقال من البداوة للحضارة. وإن كانت الحضارة كمدلول أشمل.

ومن خلال ما تقدم، نجد أن مصطلح (المدنية)، ظهر بظهور المدينة، وأصبح سمة من سمات المجموعة التي تُقيم في المدن، إلا أنه قد يظهر في الريف كذلك، ولكن لن تبرز معالمه ويزدهر إلا في المدن حيث الكيان الاجتماعي، وقد سبق الجميع (ابن خلدون) بذلك وذكر في مقدمته فقال: ومن هذا العمران (يعني: المدنية) ما يكون بدوياً، وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجعة وفي القفار وأطراف الرمال. ومنه ما يكون حضرياً، وهو الذي بالأمصار والقرى والمدن والمدر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها (2004م، ص26).

وإذا ما تسألنا، هل يمكن أن تكون هناك ثقافة دون حضارة فإن الجواب نعم، لأن المجتمعات البدائية كانت لديها ثقافة، والعرب قبل الإسلام كانت لهم حضارات اندثرت وبقيت ثقافتهم، ولم يصيروا إلى الحضارة بالمعنى الحقيقي لها إلا بظهور الإسلام، والإغريق واليونان كانت لهم ثقافة، والهنود الحمر كانت لهم ثقافة، والأفارقة الجنوبيين كانت لهم ثقافة... فمنهم من صار للحضارة بعد الثقافة ومنهم من ظل على البدائية. وأما، المدنية، فلا يتصور وجود الحضارة منفردة دونها، لأنها جزء مرتبط بها، ومن معالمها، وأيضاً، لا يتصور وجود حضارة حقيقية دون ثقافة ومدنية.

5. مقومات الحضارة ودورتها عند (ابن خلدون)، (Spengler) و(Durant)، (بن نبي)

يعُد عالم الاجتماع (ابن خلدون) أول من كتب ونظر في الحضارة وعلم الاجتماع ووضع حجر الأساس للعديد من بعده، فتناولها من عدة جوانب، كالنشأة، الذروة، التدهور والانحلال والدورة التي تمر فيها كل حضارة، ولكِ نفسر الحضارة من حيث المقومات بشكل وصفي وتحليلي مُقارن يأخذنا إلى نتيجة صحيحة، سنقارن بين (ابن خلدون) و (Spengler)، (Durant) و (بن نبي).

1.5 مقارنة بين مقومات الحضارة عند ابن خلدون و Spengler

يرى (ابن خلدون) أن للجغرافيا دور في نشأة الحضارة ويعتبر **العامل الجغرافي** حاسم في نشأة الحضارة فيقول: قد بينا أن المعمور من هذا المنكشف من الأرض إنما هو وسطه، لإفراط الحر في الجنوب منه، والبرد في الشمال. ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد، وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما إلى الوسط فيكون معتدلاً (2004م، ص46).

ويتفق (Spengler) مع ابن خلدون في أن الحضارة تقوم **بالعامل الجغرافي** فيقول: الحضارة تزدهر في تربة ورقعة من الأرض محددة لها ومعرفة بها تعريفاً تاماً، حيث تبقى ملتصقة برقعة الأرض هذه (يقصد: التي نشأت فيها) شأنها في ذلك شأن النبات (2005م، م1، ص217). إلا أن نظرية (ابن خلدون) تقتصر نشوء الحضارات على الوسط الجغرافي وما يجاوره من الكرة الأرضية، بخلاف (Spengler) الذي تصور أن الحضارة يمكن أن تقوم في أي رقعة من الأرض.

أما العامل والمقوم الثاني للحضارة عِند (ابن خلدون) **الموارد الاقتصادية** فيقول في ذلك: الحضارة إنما تفنن في الترف (يقصد: الثروة)، وإحكام

الصنائع (يقصد: تحويل المواد الأولية "الخام" إلى منتج تجاري وصناعي)، في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه (2004م، ص90). وعبر (Spengler) عن أهمية **الاقتصاد** كمقوم للحضارة فقال: فلقد كان في مصر تنظيم اقتصادي على مستوى جد رفيع ملأ كامل صورة الحضارة (2005م، م1، ص266). والواقع أن عامل الموارد، سلاح ذو حدين، فإذا حسن استغلاله، فإن من شأن ذلك أن يحُرك الحضارة لتقدم أكبر، أما العكس، على سبيل المثال: سوء استغلال الموارد، البذخ، الترف الزائد، عدم التوزيع العادل، فكل ذلك قد ينعكس على إنسان الحضارة، ويعرضها للتدهور. وإذ ما قسنا الحضارة اليوم بالدول كما وصفها (ابن خلدون) فسنجد دولتين مثل: فنزويلاً والمملكة العربية السعودية، كلاهما يمتلكان الجغرافيا والموارد الاقتصادية كالنفط ومشتقاته، بل إن احتياطي فنزويلا من النفط الأعلى عالمياً، ولديهما نفس عدد السكان تقريباً، إلا أن سوء استغلال الثروة في فنزويلا والفساد وتدني مؤشر التنمية البشرية كل ذلك مع العوامل السياسية أدى لتدهور النظام الاقتصادي فيها، بخلاف المملكة العربية السعودية التي تحولت لدولة ضمن أكبر عشرون اقتصاد في العالم.

ويعد (ابن خلدون) **العمران والاستقرار** من مقومات الحضارة فيذكر: قد تقدم لنا أن عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والأمصار؛ لأن الأمور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لأهل البدو (2004م، ص79). وعلل ذلك في أن حاجة أهل المدن للبدو كمالية، أما حاجة البدو للمدن ضرورية. وقد ألمح (Spengler) عن اعجابه بطريقة حفظ قدامى المصريين على تراث حضارتهم من خلال **العمران** فذكر: أن المصريين الذين صانوا ماضيهم في شواهد من حجر، وفي الهيروغليفية، صيانة مقصودة متعمدة، حيث نستطيع معها نحن الآن وعقب انقضاء أربعة آلاف سنة من الزمن عليها أن نعين جازمين مدد ولايات ملوكهم (2005م، م1، ص262).

وقد ربط (ابن خلدون) **العمران بالاستقرار** فقال: إن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم "الإنسان مدني بالطبع"، أي؛ لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران (1950م، ص39). إلا أن الاجتماع والعمران، بحاجة لقيادة وإلا عمت الفوضى، وفي ذلك أشار (ابن خلدون) إلى ضرورة وجود **نظام سياسي** فقال: وقدمنا أن الآدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازعٍ، وحاكم يزعُ بعضهم عن بعض (1950م، ص126). فبدون هذه القيادة، يصبح الاجتماع والاستقرار والعمران عرضة للانهيار. أما (Spengler) فإنه يحمل رؤى تشاؤمية تجاه سكان المدن فيقول: وتنشأ المدن العالمية العظمى وسكان المدن فإنهم لا يمثلون أمة، بل يمثلون ركام جماهير تتفاعل معاً نتيجة عوامل مصلحية مادية لا تمت إلى الوجدان أو الضمير بصلة، ومنازلها ليست سوى ملاجئ يأوي إليها أناس لا تجمع بينهم رابطة الدم، إنما الصدفة، ولا يوحد كلمتهم الشعور القومي، بل روح المصلحة الاقتصادية (2005م، م1، ص15 وما بعدها). ونظرة (Spengler) عن المدنية هنا نظرة عن المدينة الغربية في عصره، أما **الاستقرار** عنده فإنه لا يكون للحضارة إلا بوجود طبقتين "النبلاء" و"الكهنوت" أما طبقة الفلاحين والعمال فيعدهم طبقات تعبر عما قبل الحضارة.

ويعتبر (ابن خلدون) مقومي **الدين والعصبية** أهم مقومات نشأة الحضارة في شكل الدولة وتحديداً عِند العرب، فيقول: أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق (2004م، ص83). إذ لا يمكن أن يتوحد العرب تحت حاكم إلا بنبوة أو دعوة حق، وذلك لتعصبهم وانحيازهم لقبائلهم، فلا يحصل اجتماعهم على رأي واحد إلا بصبغة دينية مع عامل العصبية، ويمكن تفسير عامل العصبية لدى الأمم الأخرى على قوة الترابط الاجتماعي وتوحد الصفوف تحت راية واحدة، والحاصل أنه حتى عهد قريب، كانت الممالك في عموم المعمورة، يستمد فيها الحاكم قوته بدعوى أنه ممثل عن الإله على الأرض ويحكم بشريعته، وهذه دلالة على عبقرية نظرية (ابن خلدون) في ذلك العصر. وعند الحديث عن (Spengler) الذي هاجم المدنية لأنها تجمع أناس لا صلة بينهم سوى المصلحة حسب تعبيره، فقال: الإنسان في المدينة لا يؤمن إلا بالتفسير السببي ولا يفهم التجربة الحية اللاحسية، وهو فاقد كل مميزات الدم والقومية والشعور بالتقاليد، وهو لذلك عقيم (2005م، م1، ص15). يمكن من نظرة (Spengler) هذه، استشفاف رأيه حول دور **الدين أو الجانب الروحي والرابطة الاجتماعية "العصبية"** في تكوين الحضارة.

وقد نَظر (ابن خلدون) عن واقع وجدان وعقلية الإنسان العربي قبل قرون، فقال: العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظم من الدين على الجملة والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة، وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة؛ فقلما تجتمع أهواؤهم. فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم (1950م، ص136).

و(ابن خلدون) نجده يربط بين **الدولة والعمران والحضارة**، وقد يكون للعصر الذي كان فيه (ابن خلدون) دوراً في وضع -الدولة- بمفهوها الضيق اليوم، في إطار الحضارة بمفهمومها الشمولي، إذ الدولة في عصره كان يمتد نطاقها ليشمل أقاليم جغرافية شاسعة، علاوة على أنها كانت مركزية، فسقوط مركزها يعني انهيار متتابع للأطراف المترامية، فالمدينة المنورة ثم دمشق فبغداد إلى العاصمة العثمانية، كانوا جميعاً عواصم مركزية لحضارة واحدة. وإذا ما قسنا اصطلاح -الدولة- في نظريته عن الحضارة سنجد أنه أصاب نوعاً ما، تحديداً في الفترة التي أرخ فيها لنظريته.

والحقيقة أن معظم الكيانات العربية والدول التي نشأت إن لم تكن كلها، كان أصل نشأتها الصبغة الدينية والعصبية "الرابطة الاجتماعية"، ومثال ذلك: دولة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في المدينة المنورة، كان أساسها مفاعل الدين وقوة النسب في قريش، والدولة الأموية، والعباسية، بل أن الدولة

العباسية ابتدعت فكرة المهدي المنتظر الذي يُعتقد أنه يعود بنسبه لآلبيت لتهيئة جمهور الثورة عند قيام دولتها وحرموا ولاية الحكم إلا في الدم القرشي حتى لا يكون في غيرهم، وهذا ما جعل دولتهم تستمر لأكثر من ستة قرون. وكذلك العثمانية اتخذت نفس النهج وغيرها..، وآخرها دول الخليج العربي وعلى رأسهم المملكة العربية السعودية الأولى حتى الثالثة، التي كانت بداية نشأتها مع ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتحالفه مع الأمير محمد بن سعود، ولا شك أن العرب آنذاك كانوا عصبيات متفرقة ما يفرقهم أكثر مما يجمعهم، وكان عامل الدين قد ضعف وكثرت البدع. وقد قال في ذلك (ابن خلدون): أن الملك إنما هو بالعصبية، والعصبية متألفة من عصبيات كثيرة تكون واحدة منها أقوى من الأخرى كلها فتغلبها وتستولي عليها حتى تصير جميعاً في ضمنها (2004م، ص87) فكان قوام تلك الدعوة الدين والعصبية معاً وما كانت لتغلب العصبية دون الدين كما أسلفنا أعلاه، ولا الدين منفرداً دون عصبية، ومن خلالهما تم توحيد عرب الجزيرة العربية تحت قيادة واحدة، وكان نتيجة ذلك تحول عرب الجزيرة العربية من البداوة إلى الحضارة.

وبالمقارنة بين الدول العربية التي تغلب على قيادتها العصبية وصبغة الدين، نجد أن الانقياد الشعبي فيها أكثر تنظيماً من غيرها، وأن الرؤى السياسية فيها أوضح. ونلاحظ أن الدول التي حاولت الاعتماد على نظام حُر ديمقراطي في اختيار الحاكم، فشلت، وكان آخرها، مِصرَ، وبصرف النظر عن ما إذا كان الفشل مُدبر أم تلقائي، إلا أن النتيجة كانت فشل وانقسام شعبي كان على جرف الدخول في حرب أهلية، ولم يعود النظام في البلاد إلا بالقبضة التي غلبت عليها العصبية والدين. وإذا ما رجعنا إلى الوراء، سنجد أن الحال تكرر، ما بين جيش معاوية وجيش علي -رضوان الله عليهم-، وكان رجحان الكفة إلى علي -رضي الله عنه- بدايةً لولا أن أشار عمرو بن العاص -رضي الله عنه- لمعاوية برفع القرآن الكريم على أسنة الرماح، ومن هذه اللحظة أنقسم جيش علي -رضي الله عنه- ومالت الكفة لجيش معاوية حتى صارت له الغلبة بالعصبية والدين، بل أن بعض المؤرخين أرخوا حول شخصية معاوية وذكروا أنه لم يكن يأخذ المشورة إلا من قلة ممن حوله من دُهاة العرب، بخلاف علي -رضي الله عنه- الذي كان يأخذ من الشورى مبدأ ويُشاور جُنده.

ويمكن القول أن عبقرية (ابن خلدون) في فهم نفسية الإنسان العربي وطريقة تفكيره وعقليته لم يسبقه لها أحد، وأن العرب على مر التاريخ لم يُحكموا تحت راية واحدة إلا بالدين والعصبية الغالبة، وما حدث بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- من ردة العرب التي كانت معظمها تعتمد على العصبية القبلية، وكان أساس ردتها عصبيتها ورغبتها في عودة نظام القبيلة وإستعادة مُلك فُقد، بل أن بعضهم وصل به الأمر حد ادعاء النبوة رغبة في الاستقلال القبلي. وحتى الدولة العثمانية، لم تكن تحكم العرب إلا بقائمي مقام ينوبون عنها، وكان معظمهم وتحديداً في الجزيرة العربية من ذوي العصبيات والفروع الكثيرة، كإمارة الرشيد "جبل شمر" والكويت وقطر وغيرها، ولتفرض النظام عليهم، احتفظت بمكانة الأشراف على مكة والمدينة، ونجد معظم هؤلاء الأشراف كانوا يتمتعون بمكانة خاصة لدى السلطان العثماني بل أن بعضهم كان يُولد ويترعرع في العاصمة العثمانية وبعد أن يشب يُرسل إلى مكة. وإذا ما نظرنا إلى الدول متعددة الأعراق والأديان كلبنان، والعراق، وسوريا نجد أنهُ كان لهم النصيب الأكبر من الفتن والحروب الأهلية والسبب قد يعود إلى توزع العصبيات وتنوع الأديان، ونجد في النموذج العراقي والسوري أنه أتخذ من القومية العربية شعاراً ليستطيع حُكم الشعب في هاتين البلدتين ويوحدهم بشعار القومية، وسبقهم في شعار القومية لُبنان وفشل، وبسبب ضعف الصبغة الدينية وعلو شعار القومية كان نتيجة ذلك حروب أهلية كما حدث في تلك الدول، وما يحدث في انتخابات مجلس الأمة الكويتي ليس ببعيد، من تحول الانتخابات لعصبيات قبلية تجتمع تحت راية فرد من نفس القبيلة إذا ما تُرك الأمر للشعب.

ولا نستطيع اليوم فصل الكيانات السياسية عن الحضارة، إذ الاستقرار أساس لاستمرار الحضارات، وتحديداً الاستقرار السياسي، وكل دولة إسلامية اليوم عبارة عن جزء من جزيئيات الحضارة الإسلامية التي تفصلها الحدود الجغرافية، فهي كالجسد الواحد كما ورد في الحديث، والواقع التاريخي يؤكد على ذلك، فنجد الدولة العباسية حاملة لواء الحضارة الإسلامية، بعد سقوطها، ترتب على ذلك احتلال المغول لبغداد عاصمة الخلافة وما جاورها، وعمت الفوضى، وفُقد الاستقرار، ودخلت الحضارة الإسلامية مرحلة التدهور، ثم ساد التدهور كذلك بعد سقوط النظام السياسي للدولة العثمانية، وباتت معظم الأقطار تحت الاستعمار، ودخلت في حروب وأزمات أعادت الحضارة الإسلامية قرون للوراء، وما حدث في غزو العراق 2003م، وأحداث سوريا 2011م، وغيرها.. من حروب دامية افقدت البلاد الاستقرار، وإعادته عقود للوراء، فلا يمكن اليوم مقارنة بغداد بـ الرياض مثلاً من ناحية التنمية والنظام التعليمي والصحة وسُبل التقدم الحضاري، ولا دمشق بـ عَمان على سبيل المثال ولا حتى بالعواصم الغربية، إذ الفرق واضح، وهذا يعني تدهور جزئي للحضارة الإسلامية بتدهور هذه الأقطار، نتيجة الانفلات الأمني، وغياب السلطة السياسية التي توحد الشعب، فغالباً نجد غياب الاستقرار السياسي يتبعه تدهور جزئي في الحضارة، وعلى مر التاريخ، نجد إنسان الحضارة الغربية يعيش متفرقاً، فإن اقترب المد الأجنبي لها اجتمعت فجأة على راية واحدة.

والقرآن الكريم بإجماع العلماء، أوجب وجود خليفة للمسلمين، بل نجد أن الحضارة الغربية لا زالت تحتفظ بمنصب البابا ولا زال له تأثير معنوي، فهو مصدر توحيد للأمة المسيحية المتمثلة اليوم في الحضارة الغربية، وهو الذي يعقد المجمعات الفاتيكانية التي لها تأثير عالمي، بل أن الدول الغربية التي تقر بحرية الاعتقاد وغيرها من الحريات لا زالت تتخذ توجه ديني متمثل في المسيحية، وهذا يثبت أن الدولة لا يمكن لها أن تستمر بالعلمانية ودون توجه ديني واضح وإن كان ضمنياً، وإلغاء الخلافة كان له بُعد حضاري، لمنع توحيد تلك الشعوب تحت مرجعية دينية حضارية مركزية.

ويرى (ابن خلدون) أن الأوطان الخالية من العصبيات يسهل تمهيد الدولة فيها فيذكر: ولا تحتاج الدولة فيها إلى كثير من العصبية كما هو الشأن في مصر والشام **لهذا العهد**، إذ هي تخلو من القبائل والعصبيات، فملك مصر في غاية الدعة والرسوخ لقلة الخوارج وأهل العصائب إنما هو سلطان ورعية (2004م، ص86). فحدد (ابن خلدون) نظريته لتلك البلدان حتى العهد الذي أرخ فيه، إلا أن الواقع اليوم مُختلف، فتكثر في هذه البلدان الأحزاب الدينية والعرقية والقومية، ونظراً لأن الدعوة الدينية دون عصبية لا تنجح حسب وجهة نظر (ابن خلدون) فنلاحظ أن (Napoléon) عندما شن حملته على مصر، كان جيشه عصبيته، إلا أنه لم يستطع حكم الشعب والحصول على تأييده بالعصبية فقط، إلا بعد تظاهره اعتناق الإسلام، وارتداءه للزي الشرقي واحتفاله بالمولد النبوي على مرأى من الناس، حتى أنه أطلق على نفسه ألقاب مثل: "ابن النبي" و"محبوب الرب"، ونجد أن حُكم الأشراف على كلاً من سوريا والعراق لم يستمر سوى بضع سنين، بخلاف النموذج الأردني الذي كانت فيه العصبية مع الصبغة الدينية أوثق فنجد الملك عبدالله الأول ابن الحسين، أسس إمارة شرق الأردن بعد قيادته للقوات العربية، وأقام إمارته في وسط كان عامته من العشائر والقبائل والبدو بعد أن حصل على تأييد أعيان وشيوخ القبائل وكون قوة من البدو ساهمت بتثبيت أركان حُكمه فيما بعد. ونلاحظ أيضاً أن حُكم الرئيس المصري الأسبق محمد مرسي تكلل بالنجاح الكاسح بصبغة دينية، إلا أنه لم يستمر لضعف الرابطة العصبية والفجوى بينه وبين المؤسسات الحكومية وتعدد المرجعيات داخل الحزب نفسه. وإذا ما بحثنا في تاريخ العرب المُعاصر لا نجد دولة ذات حكم جمهوري سادها الرخاء والأمن والأمان والعدالة الاجتماعية، وحتى في ظل الحكم الجمهوري، لا تكاد تغيب نظرية (ابن خلدون) عن الواقع المعاصر، إذ أنه ما يلبث الرئيس أن يصل للرئاسة حتى يُعمر فيها، ويورثها لمن بعده، ويصبح تغيير هذا الوضع بمثابة الدخول في فوضى شعبية عارمة وانهيار للدولة ولجزء من أجزاء الحضارة، بل أن مِصرَ في ظل الحكم الملكي كان اقتصادها من أفضل الاقتصادات في العالم، وكانت دولة إنتاجية لا مستهلكة. وليس اليمن ببعيد مما يجري في الوقت الراهن، ولا حتى ليبيا التي بعد أحداث 2011م لا زالت دون رئيس رسمي منتخب، إذ من طبيعة العرب أن يتوحدوا تحت مظلة قيادة ورمز يتمثل في عصبية قوامها الدين لدوام الاستقرار.

وهذا لا يعني حتمية نظرية (ابن خلدون) بالغلبة العصبية والصبغة الدينية، إذ، يمكن بناء دول ذات حكم دستوري "ملكيات دستورية" أو ما يقوم مقامها، تسهم في الحفاظ على الحضارة، رمزها أسرة عصبية تسود ولا تحكم يجتمع الشعب تحت رايتها، ونظام ديمقراطي برلماني نيابي ممثل عن الشعب، وقد يكون هذا من أفضل الحلول في الحواضر العربية والإسلامية في هذا العصر.

وقد كان لـ (ابن خلدون) رأياً في المُلك فذكر: أن الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به؛ إنما ذم المفاسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع باللذات (2004م، ص99). ولا شك أن السلطة المطلقة مفسدة مطلقة، ولذا كان من مبادئ الشريعة العمل بالشورى لتحقيق العدالة الاجتماعية، والشورى يمكن القول أنها تُطابق مجلس الشعب والأمة والشورى وغيرها من المسميات، إلا أن التطبيق لا يزال بحاجة لتحسين.

وقد كان المعمول به في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، أن تكون القيادة عصبية بمعنى؛ رابطة اجتماعية قوية متمثلة في رمز يحمل لواء الدين، ونظام شوري، فلم يكن للخليفة ولاية لبضع سنين، وهذا ما ساعد على استقرار الدولة وتثبيت أركانها ورسوخ مبادئها ورؤيتها، وما أن تُرك الأمر للجمهور حتى بدأ الصراع، وانتهت حقبة الخلفاء الراشدين وتحول الأمر لعصبية أخرى تحمل لواء الدين متمثل في دولة بني أمية.

2.5 مقارنة بين الدورة الحضارية بين ابن خلدون و Spengler

نظرة (ابن خلدون) للحضارة ذات قالب دائري مغلق، بمعنى؛ حتمية السقوط، فهو يرى أن البداوة تكون فيها العصبية أقوى لدى الجيل المؤسس وفي هذا يقول: اعلم أنه لما كانت البداوة سبباً في الشجاعة، كما قلناه في المقدمة الثالثة، لا جرم كان هذا الجيل الوحشي أشد شجاعة من الجيل الآخر. فهم أقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الأمم (1950م، ص125). ينظر (ابن خلدون) على أن الحضارة في هيئة الدولة تمر بخمسة أطوار كما يقول: فالطور الأول البداوة وهو طور الظفر، والطور الثاني هو طور الانفراد بالمجد، والطور الثالث طور الفراغ والدعة، والرابع طور القنوع والمسالمة، والخامس الاسراف والتبذير وهو الأخير ويحصل فيه هرم الحضارة (2004م، ص91-92). وهو يرى الحضارة تحتمل ثلاثة أجيال، فينظر على أن الجيل الأول لا يزال على خلق البداوة والخشونة والبسالة، والجيل الثاني يحصل فيه التحول من البداوة للحضارة والترف، ويحصل أن تنكسر صورة العصبية بعض الشيء، والجيل الثالث فيه يُنسى عهد البداوة والخشونة، ويحصل فيه الترف غايته وفيه يحصل هرم وانهيار الحضارة. فنظريته تجعل متوسط عمر الدولة "الحضارة" ثلاثة أجيال كُل جيل أربعين سنة، ومتوسط عمر الجيل هنا نجده يستمده من القرآن الكريم.

إلا أن (ابن خلدون) وضع استثناءً وحيداً على إنقاذ الحضارة من الهرم فقال: الدولة إذا طرقها الهرم بالترف والراحة، كان على صاحب الدولة أن يختار أنصاراً وشيعاً ممن تعود الخشونة، فيتخذهم جنداً، ويكون ذلك دواءً للدولة من الهرم الذي عساه أن يطرقها (2004م، ص88). وهذا حصل في التاريخ في الدولة العباسية والمماليك.. فكان بمثابة إنقاذ مؤقت.

وعلى الجانب الأخر نجد (Spengler) الذي تصور أن الحضارة ذات دورة زمانية أقرب للكائن البيولوجي الذي يولد طفل ويشب ثم يشيخ ومصيرها الزوال فيشبه الحضارة على أنها: دورة أمواج فخمة جليلة، وهذه الأمواج تظهر فجأة وتنتفخ متورمة في خطوط جميلة رائعة، ثم تهبط لتستوي وسطح الماء وتختفي (2005م، م1، ص217).

ويمكن تلخيص نظريته حول الحضارة في جملته هذه: إن الحضارة تولد في اللحظة التي توقظ فيها نفس عظيمة من الروحانية الأولية للإنسانية الأبدية الطفولة، وتعزل نفسها لتصبح شكلاً مما لا شكل له، وشيئاً محدوداً فانياً مما هو خالد وغير محدود، فتنبت في التربة كالنبات وتموت عندما تحقق كامل إمكاناتها على هيئة شعوب ولغات ومذاهب وفنون ودول وعلوم، وتعود إلى نفسها الأولية (شبينغلر، 2005م، م1، ص217). ونلاحظ ربطه قيام الحضارة بالروحانية، إذ هو من أشد معارضي العقلانية، ويراها مؤشر على بداية تدهور الحضارة، ورؤيته للحضارات على أن لكل حضارة ما يميزها وما تتفرد به عن غيرها، ولا علاقة لأي حضارة بأخرى في عوامل النشأة والسقوط، إذ الحضارة لها مراحل صيف، ربيع، خريف وشتاء وتختلف الدورة البيولوجية لكل حضارة عن الأخرى.

وعلى هذا ينظر (Spengler) للحضارة على أنها تمر بمراحل حتمية، فولادتها كما مرحلة الطفولة، وشبابها ازدهارها، ورجولتها مرحلة ذروتها ومجدها، ثم تأتي مرحلة الهبوط في مرحلة الشيخوخة فيقول: إن كل حضارة تمر بمراحل العمر ذاتها التي يمر بها الفرد الإنسان، فلكل حضارة طفولتها وشبابها ورجولتها وشيخوختها (2005م، م1، ص218). وهو بذلك يشترك مع رؤية (ابن خلدون).

وعليه فإن (Spengler) يرى أن زوال الحضارة أمر لا مفر منه، ويستبعد أن تنشأ حضارة من رحم حضارة أخرى، إذ هو يرى أن زوال حضارة يعني زوال كل ما يرتبط بها، وأن نشأة الحضارة الجديدة يعني ولادتها من الصفر، دون أي تأثير وتأثر بسابقتها فقال: أن العلاقات المشتركة بين الحضارات هي من بنات الصدفة ودون أهمية (2005م، م2، ص44). إذ لا توجد علاقات ذات فاعلية تجمع حضارتين معاً أو تكون نشأة حضارة بناء على تأثر بسابقتها. وكان من أوائل الذي نظروا بقُرب تدهور الحضارة الغربية فذكر: إن هذا الانحطاط الذي سيشغل القرون الأولى من الدورة الألفية القادمة من الأعوام، لكننا نرى الآن طلائعه ونحس به حولنا، وأعني به انحطاط الغرب (2005م، م1، ص218).

ويمكن إجمال نظريتي (ابن خلدون) و (Spengler) حول ذروة الحضارة وانهيارها، في أن (ابن خلدون) يرى أن مرحلتي الترف وبلوغ العمران غاية الحضارة ومؤشر على هرمها وقرب انحلالها. بينما، (Spengler) الذي يكره العقل كثيراً، رأى أن التوجه المادي العقلاني إنذار على قرب سقوط الحضارة، ونظرته للحضارة نظرة تضعها في دورة بيولوجية مغلقة. ويتفق كلاهما في حتمية زوال الحضارات، وإن كان (Spengler) يرى أن الدورة الحضارية جبرية يحكمها القضاء والقدر وليس الإنسان إلا شيء هامشي فيها. إلا أن (ابن خلدون) وضع استثناءً على ذلك ألا وهو إعادة إحياء روح البداوة الأولى المتمثل في الأخلاق والمروءة والدين وقوة الترابط الاجتماعي.

3.5 مقارنة بين مقومات الحضارة عند Durant و بن نبي

يرى (Durant) أن أول مقوم للحضارة **العامل الجيولوجي** فيقول: أن الحضارة مرحلة تتوسط عصرين من جليد، فتيار الجليد قد يعاود الأرض في أي وقت فيغمرها من جديد، بحيث يطمس منشئات الإنسان بركام من ثلوج وأحجار (1988م، م1، ج1، ص3). فإن خطر الزلازل والعوامل الجيولوجية إذا ما حدث والإنسان في غفوة منه، فإن ذلك قد يُشكل أكبر العوائق والحواجز لقيام الحضارة. والواقع أن العامل الجيولوجي عامل مؤثر وحاسم في نشأة الحضارات، إذ لا نجد في القطبين الشمالي والجنوبي إمكانية نشأة وقيام واستمرارية حضارة بعينها، إذ لا يمكن الزراعة في ظل الظروف المناخية فيها، ولا الاستفادة من الثروات في باطن الأرض، ولا يوجد كائنات حية داجنة يمكن الاستفادة منها، للأسباب الجيولوجية المتعلقة بالمنطقة الجغرافية.

ويضع (Durant) **العامل الجغرافي** من مقومات الحضارة فيقول: ولما كانت السماء متقلبة الأهواء لغير سبب مفهوم فقد بالجفاف على أقطار ازدهرت يوماً بالسلطان والعمران، مثل نينوى وبابل؛ أو قد تسرع الخطى نحو القوة والثراء، بمدائن هي -فيما يبدو للعين- بعيدة عن الطريق الرئيسي للنقل والانتقال، مثل المدن في بريطانيا العظمى أو خليج بيوجت (1988م، م1، ج1، ص4). فهو لا يتصور للعامل الجغرافي دوراً في خلق المدنية، ولكن يرى أن بإمكانه أن يمهد الطريق نحو الازدهار، والواقع اليوم مع تقدم العلم، أن العامل الجغرافي برغم أهميته، إلا أن تأثيره أصبح أقل، مع ظهور الاختراعات التي باتت تقلل من خطر قلة الأمطار على بعض الأقاليم، بتحليه مياه البحار وغيرها من الوسائل، أو شدة الحرارة فيها التي أصبح بالإمكان الاستعانة بوسائل التبريد لتقليل وطأتها.

وقد تحدث عن ذلك (بن نبي) قبل عقود عن قدرة الإنسان في تطويع المتغيرات الجغرافية لمصلحته فقال: لن نستطيع انقاذ ذريتنا من الأجيال القادمة إلا بالعمل الشاق الذي يقوم به جيلنا الحاضر، وعندما تحقق تلك المعجزة التي تكون بانتصارنا على أنفسنا، وعلى أهوال الطبيعة، فإننا سوف نرى أية رسالة في التاريخ نحن منتدبون إليها، لأننا نكون قد شرعنا في بناء حياة جديدة، ابتدأت بالجهود الجماعية بدل الجهود الفردية ولسوف تظهر أمامنا بعد ذلك أعمال جليلة خطيرة، ولكنها سوف لا تخفينا، لأن شعبنا أخضع التراب، ومهد فيه لحضارته ولم يعد شعباً يخاف نوائب الزمن (1986م، ص136).

ويرى على الجانب الأخر (بن نبي) أن عامل **التراب** من مقومات الحضارة فيقول: للتراب قيمة اجتماعية، وهذه القيمة مستمدة من مالكيه، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة، وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة، وحيث تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط (1986م، ص131). وتُعقب (بريون) على مُصطلح "التراب" فتذكر أنه: يتسع مفهوم التراب ليشمل كل ما فوق الأرض وما في بطنها من ثروات وموارد طبيعية، فهو يحمل دلالات المواد الخام الأساسية التي يمكن لأي دورة حضارية أن تبدأ منها (2010م، ص231). وبالتالي، يشمل **التراب** المقومين الذين أشار إليهما

(Durant) من عنصر **جيولوجي** وأخر **جغرافي**.

ويضيف (Durant) إلى تلك المقومات، **العامل الاقتصادي** فيقول: فقد يكون لشعب مؤسسات اجتماعية منظمة، وتشريع خُلقي رفيع، بل قد تزدهر فيه صغريات الفنون، كما هو الحال مع الهنود الأمريكيين، ومع ذلك فإنه إن ظل في مرحلة الصيد البدائية، واعتمد في وجوده على ما عسى يصادفه من قنائص، فإنه يستحيل أن يتحول من الهمجية إلى المدنية (يعني: الحضارة) تحولاً تاماً (1988م، م1، ج1، ص4). وقد تناول (بن نبي) **العامل الاقتصادي** عندما جعله في قالب العمل المتصل بعنصر الإنسان وأطلق عليه "توجيه رأس المال" وتحدث عن دوره في النهضة. إذ نجد قارة كإفريقيا، أكثر قارة في العالم لها نصيب من إحتياطي مناجم الذهب والفضة والمعادن الثمينة، إلا أن **العامل الاقتصادي** لم يشفع لتلك القارة من الاستغلال الحضاري من قبل الحضارات المتقدمة، لأن الإنسان هو الفاعل، في هذا العامل.

وليؤكد (بن نبي) على فاعلية **الإنسان** في بناء الحضارة ذكر أن: للحضارة قيمتان منها ما هو طبيعي وصناعي، والقيمة الأولى موجودة في كل فرد، في تكوينه البيولوجي، وتتمثل في استعداده الفطري لاستعمال عبقريته وترابه ووقته (1986م، ص145).

وعبر عن أهمية **الزمن** في الحضارة بقوله: يتحدث الناس عن "ساعات العمل"؛ أعني العملة الوحيدة المطلقة التي لا تبطل، ولا تُسترد إذا ضاعت: إن العملة الذهبية يمكن أن تضيع، وأن يجدها المرء بعد ضياعها، ولكن لا تستطيع أي قوة في العالم أن تحطم دقيقة، ولا أن تستعيدها إذا مضت (بن نبي، 1986م، ص140). والواقع أن لكل جماعة إنسانية نصيبها من الوقت ذاته، إلا أن الجماعة التي تولي الوقت أهمية أكبر في العمل، هي التي تتفوق على البقية، فكل إنسان على كوكب الأرض يملك في يومه أربع وعشرون ساعة، إلا أننا نجد التفاوت بينهم في الكسب والتطور اعتماداً على طريقة كل فرد بالتعامل مع عنصر **الزمن**، فإما أن تُستغل بشكل يُثمر أو يفلت، وهذا نفسه ينطبق على الحضارة. ونجد في حضارة وادي الرافدين والقدامى المصريين اهتمام بعنصر **الزمن**، فبنوا المسلات لقياس وتتبع حركة الشمس من خلال الظل الساقط.

ونظرية (بن نبي) تتلخص في جعله قوام الحضارة ثلاثية تتكون من **"الإنسان+التراب+الزمن"** فيجعل الحضارة رهن هذه العناصر الثلاثة، وعليه يكون وفقاً لمنظوره أن الإنسان هو الفاعل الحيوي فيهم جميعاً إذ بتحركه تتفاعل العناصر معه، وبتوقفه عن العمل تصبح راكده لا قيمة لها فيقول: العمل وحده الذي يخط مصير الأشياء في الإطار الاجتماعي. ورغم أنه ليس عنصراً أساسياً **كالإنسان والزمن والتراب**، إلا أنه يتولد من هذه العناصر الثلاثة. فعندما كان المسلمون الأوائل يشيدون مسجدهم الأول بالمدينة، كان هذا أول ساحة للعمل صُنعت فيها الحضارة الإسلامية (1986م، ص107). وأكد على أن الفاعل الأساسي فيها هو "**الدين**" فقال: سوف نصل إلى النهاية إذا ما تتبعنا كل مظهر مدني من مظاهر الحضارة الغربية، إلى الروابط الدينية الأولى التي بعثت الحضارة وهذه حقيقة كل عصر، وكل حضارة (1986م، ص90). وأشار على ذلك من خلال حديثه عن تأليف قلوب المهاجرين والأنصار برابطة **الدين، والأخلاق** التي من خلالها استطاعت الحضارة الإسلامية التفوق لأكثر من ألف سنة، كما تحدث عن أن أي حضارة في التاريخ كان الدور الأساسي في نشأتها هو **الدين**، أو وحي من السماء، إذ لا يمكن للإنسان بناء حضارة إلا إذا امتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية. وهنالك اتفاق بين (Durant) و(بن نبي) حول دور **الدين** الحاسم في الحضارة فيذكر (Durant) ذلك بقوله: وربما كان من الضروري أن يكون بين الناس بعض الاتفاق في العقائد الرئيسية وبعض الإيمان بما هو كائن وراء الطبيعة أو بما هو بمثابة المثل الأعلى المنشود، لأن ذلك يرفع الأخلاق من مرحلة توازن فيها بين نفع العمل وضرره إلى مرحلة الإخلاص للعمل ذاته (1988م، م1، ج1، ص7).

ويرى (Durant) أن إضافة إلى تلك المقومات يبقى مقوم أخير يُسيرها وينظمها جميعاً فيذكر ذلك بقوله: وما هذه العوامل المادية والبيولوجية إلا شروط لازمة لنشأة المدنية، لكن تلك العوامل نفسها لا تكون مدنية ولا تنشئها من عدم، إذ لا بد أن يضاف إليها العوامل النفسية الدقيقة، فلا بد أن يسود الناس **نظام سياسي، ووحدة لغوية** إلى حد ما لتكون بين الناس وسيلة لتبادل الأفكار، وقانون خلقي يربط بينهم عن طريق الكنيسة، أو الأسرة، أو المدرسة، أو غيرها (1988م، م1، ج1، ص7). وبحسب (Durant) فإن انعدام عامل من هذه العوامل، بإمكانه أن يقلل فرص الجماعة الإنسانية في طور الحضارة.

4.5 مقارنة الدورة الحضارية بين Durant و بن نبي

اختلف (Durant) مع النظريات التي تجعل للحضارة نهاية وانحلال من صفحات التاريخ، وعارض هذا الرأي، فهو يرى أن الحضارات لا تموت ولا تعدم فيذكر: أن الحضارة لا تموت، ولكنها تهاجر من بلد إلى بلد، فهي تغير مسكنها وملبسها، ولكنها تظل حية. وموت إحدى الحضارات كموت أحد الأفراد يفسح المكان لنشأة حضارة أخرى؛ فالحياة تخلع غشاءها القديم وتفاجئ الموت بشباب غض جديد (1988م، م2، ج3، ص211). وهذا يعني أنه أخرج الحضارة من دورتها المغلقة ورسم لها طريقاً فيه صعود ونزول، فيه ميلاد، وهرم، يتبعه إعادة إحياء للحضارة في شكل آخر، فلكل حضارة وريث، كما لكل إنسان إرث له من يرثه. ونجد (Durant) تجنب الحديث عن الدورة الزمنية للحضارة بشكل تفصيلي، ربما تجنباً منه للحديث عن الانقطاع الحضاري الذي مر على الحضارة الغربية المعاصرة، فنجد مثلاً الحضارة الصينية التي كان أصل نشأتها نظام سياسي، واحدة من أقدم الحضارات المستمرة إلى اليوم دون وجود انقطاع حضاري، بخلاف الحضارة الغربية اليوم التي تعرضت لعدة انقطاعات حضارية قبل أن تصل إلى ما وصلت إليه اليوم، وقد رسم (Durant) للحضارة الإسلامية دورة وضع الاضمحلال نهايتها مع سقوط بغداد 1258م، إلا أن الثابت أن الحضارة الإسلامية منذ ولادتها

حتى الوضع المعاصر لم يشوبها انقطاع فهي حضارة أصيلة مستمرة؛ وإن تعرضت للتدهور في بعض المنعطفات التاريخية.

ونظرية (بن نبي) حول الدورة الحضارية، يرسمها في ثلاث مراحل تمر بها الحضارة، فمرحلة النشأة يقول فيها: ولا شك في أن المرحلة الأولى من مراحل الحضارة الإسلامية التي بدأت من غار حراء إلى صفين -وهي المرحلة الرئيسية التي تركبت فيها عناصرها الجوهرية- إنما كانت دينية بحتة، تسودها الروح (1986م، ص52). فهو ينظر على أن الحضارة في بدايتها يسيطر فيها العامل النفسي الروحي الأخلاقي فيكون سائد على كل شيء، ورسم تاريخ المرحلة الروحية للحضارة الإسلامية منذ بداية الوحي في غار حراء، إلى وقعة -صفين- ما يصادف 37هـ فبعد هذا التاريخ دخلت الحضارة الإسلامية المرحلة الثانية من مراحل الدورة الحضارية.

ويؤكد (بن نبي) على أن وقعة صفين حولت الحضارة الإسلامية من مرحلة الروح إلى المرحلة الثانية "العقل" فيقول فيها: تلك التي حولت مجرى التاريخ الإسلامي إذ أخرجت الحضارة الإسلامية إلى طور القيصرية الذي يسوده عامل العقل، وتزينه الأبهة والعظمة، في الوقت الذي بدأت تظهر فيه بوادر الفتور الدالة على أفول الروح (1986م، ص52).

وتأتي المرحلة الأخيرة التي تبدأ شمس الحضارة فيها بالأفول فيقول فيها (بن نبي): وفي الحالة التي تنكمش فيها تأثيرات الروح والعقل، تنطلق الغرائز الدنيا من عقالها، لكِ تعود بالإنسان إلى مستوى الحياة البدائية (1986م، ص53). وهو لا يسقط نظريته على الحضارة الإسلامية حصراً، إنما يجعل هذه الدورة من القواعد التي تمر على كل حضارة، وقد تناول ذلك بشيء من التفصيل.

ونجد (بن نبي) يُشبه المرحلة الأولى لقيام أي حضارة بسيطرة الروح على حساب الغرائز والعقل، وفيها يحصل للجماعة الإنسانية أن تكون لها أبعاد روحية بعيدة كل البعد عن المادة والمصالح الدنيوية. فإذا ما بدأت مرحلة العقل، ظهرت بوادر فتور في الجانب الروحي لحساب العقل، وفي هذه المرحلة تكون الحضارة في قمة ذروتها بما تبقى لها من مخزون روحي، وشيئاً فشيئاً تبدأ السيطرة الكاملة للعقل ويغيب الجانب الروحي، فتتجه الحضارة ناحية المادة وتبدأ تخلد إلى الأرض، ومع انفلات الغرائز وتحررها، تغيب سلطتي الروح والعقل، وتتفكك الروابط الاجتماعية، وتصبح بوصلة الجماعة الإنسانية ضائعة، ويبدأ إنسان الحضارة يعود إلى تلك البدائية الأولى.

وعبر عن الدورة الحضارية بصعود يتمثل في ميلاد، فذروة يحصل فيها الاكتمال ثم تدهور فذكر: أن النظر للأشياء من الوجهة الكونية، يقود إلى أن الحضارة تسير كما تسير الشمس، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب، ثم متحولة إلى أفق شعب أخر (1986م، ص49).

فالحضارة: تراب+إنسان+زمن، وهي تكون فعالة في مرحلتي الروح والعقل، وبسيطرة الغرائز تبدأ بالعودة إلى طبيعتها الراكدة وتغيب شمس الحضارة، فهي إذن رهن، بفعالية الفكرة والإنسان والمجتمع.

وهذه الثلاثية لا تتوافق مع السكون، إنما ما يجعلها تتفاعل؛ الحركة، فعبر عنها (بن نبي) بميلاد الفكرة التي تولد المجتمع فقال: تكسب الجماعة الإنسانية صفة (المجتمع) عندما تشرع في الحركة، أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها. وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة (1985م، ص16).

وهذه العناصر الثلاثية، الإنسان والتراب والزمن، هم مقومات وأصل كل حضارة، أما المركبات والطائرات وغيرها لا تعدو سوى مكتسبات للحضارة، وإذا لم يُحسن الإنسان استغلال هذه العناصر الثلاثة؛ فإنها لا تختفي لكنها تعود لسيرتها الأولى وتصبح خاملة. وفي الواقع، نظرية (بن نبي) أقرب لطبيعة الحضارة، فإذا نظرنا للحضارة الإسلامية، التي بدأت بـ اقرأ، لا نتصور أن تصل للمرحلة التي وصلتها في القرنين التاسع عشر والعشرون من جهل وانحطاط فكري وقابلية للاستعمار، وأمية، وهذا ليس تعميم إنما وصف للحالة التي كانت سائدة، وكل هذا مهد للاستعمار الذي خلفه انتداب لإدارة أمة صنعت حضارة عظيمة، فقد كانت نسبة الأمية تكاد تكون منتشرة في جميع الحواضر الإسلامية في تلك الفترة، وهذا يدعونا حقاً، إلى إدراك أن السكون والركون وإعلاء شأن المادة والغرائز إنما يقود الجماعة الإنسانية إلى البدائية الأولى، وأن التوازن بين الروح والعقل بسيطرتهم على الغرائز، والإيمان بقوة الفكرة بإمكانه أن ينعش الحضارة من سُباتها.

6. قوانين كونية للحضارة في ضوء القرآن الكريم

1.6 قوانين الحضارة في ضوء السُنن الإلهية في القرآن الكريم

تبدأ الحضارة الإنسانية بوحي إلهي أو دين أو نظام أخلاقي يُعينها على التقدم والإسهام، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: 2). وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

يربط لنا الوحي الإلهي واحد من قوانين وقواعد الحضارة ألا وهو "التصور الصحيح" و "الإيمان بالله"، إذ لا يمكن لجماعة إنسانية أن تتقدم وتقطع شوطاً دون تصور صحيح وبُعد روحي ومادي وتوازن بينهما، إذ الروحانية الخالصة، لا يمكن أن تصنع حضارة، فالإنسان بروح دون جسده المادي لا يمكن له أن يدرك الأشياء، ولهذا خُلق الإنسان من شقين روحي ومادي، فإن غلب الروحي، دخل الإنسان مرحلة التصوف والزُهد والبعد عن الاسهام في الحياة، وإن كان التصوف أصلاً تأثير نابع من المسيحية لا علاقة له بالإسلام ويؤكد على ذلك (Durant) الذي درس الحضارتين فيقول: فأما من حيث

المظاهر الدينية فأكبر الظن أن التصوف قد جاء إلى العالم الإسلامي من نماذج مسيحية، ومن الرهبنة، وعبادة القديسين (2010م، م4، ج2، ص383). ومثال على حالة فقدان التوازن بين الروح والمادة "قارون" الذي قيل له: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ﴾ (القصص: 77). فما كان رده على قومه إلا أن قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ﴾ (القصص: 78). فنجد قارون قد فقد توازنه، وفسح المجال لغرائزه ولتقديس المادة على حساب آخرته وجانبه الروحي، وكانت عاقبته المعروفة، ولا يذكر لنا القرآن الكريم القصص إلا للاعتبار.

والقاعدة الثانية تتمثل في الاستطلاع والتدبر لقوله تبارك وتعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:1). وفي ذلك يقول (أبو خليل): لقد ارتقى العرب المسلمون بالحضارة الإنسانية عندما جاء دورهم في بنائها منذ نزل الوحي الأمين بـ(اقرأ) على قلب محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلم-، فنقلوا ، وترجموا، وصححوا، ودرسوا، ثم أضافوا فأبدعوا (1994م، ص192). فلا يمكن لحضارة أن تستمر ويحصل لها التوازن بين الروح والمادة إلا إذا كان إنسانها قارئ، والقراءة لا تقتصر على النطق، بل على الصورة والسمع والبصر والتفكر والتدبر، وهي مرتبطة بتصور المؤمن الصحيح، ولا يمكن لحضارة أن تسير وتنهض وهي في حالة سكون ونوم ووسط عقيم، لأن مناط الإنسان العقل، ولا يمكن للعقل أن يعمل ويتطور إلا بالقراءة، فنجد شبه الجزيرة العربية إبان العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين في ذروة الحضارة بعد أن انتقلت من البداوة وصارت للحضارة، ثم بعد ذلك عادت معظمها تارةً أخرى للبداوة بسبب إغفال دور العقل والعلم الذي يُعزز بدوره ثقافة وحضارة الجماعة الإنسانية.

وجود الشريعة الضابطة للمجتمع الإنساني والرؤية الواضحة التي تدفعه للعمل والتقدم فبدون شريعة ورؤية لا يمكن للمجتمع الإنساني إلا أن يكون في فوضى عارمة لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: 48). وقد أكد على التمسك بالشريعة -عليه الصلاة والسلام- فقال: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهم: كتاب الله وسنتي هذه".

قابلية الإنسان للتغير والتطلع للأفضل، إذ لا يمكن لحضارة أن تولد في جماعة إنسانية رافضة لها وغير مستجيبة للتغيير الإيجابي، لقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11). وهذا يتفق مع نظرية (بن نبي) الذي ربط الحضارة بفعالية الإنسان وجعله محوراً أساسياً لقيامها.

والقانون الثالث للحضارة أن كُل ما في الأرض مُسخر للإنسان وفعالية الإنسان وإدارته لما سُخر له هو الفيصل في تحضره وتقدمه، لقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: 13). ونجد الخطاب القرآني قانون كوني يشمل جميع البشر، فحُسن إدارة الجماعة الإنسانية لما سُخر لها يجعلها ترتقى وتتقدم، والعكس صحيح. وهذه المسؤولية والإرادة ميزت الإنسان بإن جعلت له قدرة على فهم الأسباب والتدخل لتغيير مسيرته، فليس هو كالحيوان أو الجماد أو المخلوقات مسلوبة الإرادة بالتسيير إنما مُخيراً.

والقاعدة العامة التي تسقط الحضارة بها، وتعلوا بتطبيقها قاعدة العدل الاجتماعي، فإذا غاب العدل، انتشرت الفوضى وأصبح مجتمع الحضارة كالغابة يأكل فيه القوي الضعيف، حتى تتدهور وتنتهي، ولذا حرص القرآن الكريم في مواضع كثيرة على تطبيق العدل لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: 90). وفي الحديث النبوي: "إنما هلك الذين من قبلِكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهمُ الشريفُ تركوه، وإذا سرق فيهمُ الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ"، وحرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على تطبيق وإقامة الحد ولو كان على ابنته وأقرب الناس إليه!، فقد قرن العدل باستمرار النظام والحضارة، وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: 7). فقد شرع الله تعالى العدل وأمر به، لينتظم أمر الدنيا ويستقيم حالها، فبالعدل قامت السموات والأرض، وبه بقيتا على أتقن نظام، ولا غرابة، وقد قال (ابن تيمية) في ذلك: "إن الله يقيم الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة، وإن كانت مسلمة".

وأخيراً، حرص الإسلام على الروابط الاجتماعية من التفكك، إذ بها تقوم الحضارة وتقوى وتستمر، لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ﴾ (النساء:1)، ويشمل ذلك النظام الأخلاقي، الذي دلت عليه الكثير من آيات القرآن وهو مرتبط ارتباط وثيق بإنسان الحضارة، فإذا فسدت أخلاق المجتمع بدأ ينهار، وانطلقت غرائزه وفقد توازنه بين الروح والمادة.

2.6 الدورة الحضارية في ضوء القرآن الكريم

تنشأ الحضارة الحقيقة بالإنسان نفسه، فالقرآن الكريم يولي الإنسان أهمية وتكريم، ولا يعُطي الأمور المادية التي هي من مكتسبات الإنسان بحُسن استثماره لها قيمة كبيرة، لأنه لولا خلق الإنسان لما وجدت الحضارة، فيقول المولى تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: 4)، فجعل للإنسان حرية إرادة وحباه مسؤولية لا توجد لدى باقي المخلوقات، فنشأة الحضارة مرتبطة بشكل وثيق بفاعلية الإنسان نفسه وهو مسؤول عن تقدمه وتأخره، ولا يمكن لحضارة أن تولد وتتفوق إلا بالوحي الإلهي وطابع الدين أو التنظيم الأخلاقي.

وللحضارة أطوار ودول، فلا يبقى إلا وجهه سبحانه لقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ۚ﴾ (آل عمران: 140). فالقول بديمومة الحضارة دون الأخذ بالأسباب؛ قول فاسد، فدوام حال أي حضارة من المُحال.

والحضارة وفقاً للقرآن الكريم حضارة إنسانية لها تعاقب، كتعاقب الليل والنهار، لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۚ﴾ (الأعراف: 74). ونجد الفساد مؤشر على قُرب

زوال أي حضارة، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: 38). لخير دليل على أن الحضارة إذ ما فقدت مقوماتها، حق عليها القول. ولا يمكن أن تولد الحضارة من العدم، إذ لكل حضارة إرثها التي تُخلفه وتستفيد منه الحضارات الأخرى، فإن كان فيه ما ينفع للناس بقي وإن كان فيه ما استحق الزوال زال، لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد: 17).

وتنتهي الحضارة، حال بلوغها مبلغ الترف والعمران والتأنق الزائد، فتتغير نفسية الإنسان ذات البُعد الروحي والمادي، إلى إنسان مقتصر على بعده المادي، ومصالحه الدنيوية، فيحصل التفكك الاجتماعي أولاً، ولأن الحضارة مرتبطة بالنظام السياسي، فيبدأ أفول الحضارة على أيديهم، ثم ينتقل المرض إلى المجتمع إلى أن تفقد الحضارة رونقها، ويعود الإنسان إلى طوره الأول، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء: 16). والأمثلة كثيرة على ذلك، ومنها على سبيل المثال: فرعون، الذي قاد قومه للهلاك بسبب فساده وطغيانه. ونستشهد بقول الشاعر: (أحمد شوقي) "إنما الأمم الأخلاق ما بقيت؛ فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا".

7. الخاتمة والنتائج

في الختام، ومما تم استعراضه في هذه الدراسة ماهية الحضارة ومقوماتها وتدهورها والمنظور الإسلامي لها، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج وهم كالآتي:

1. الحضارة من الحضور والظهور، ومن التحضر والتقدم، ويسبقها حالة البداوة، والعامل الذي يميزها عامل الاستقرار.

2. الحضارة عند (Spengler) مثل الكائن الحي، لها طفولتها، شبابها، وشيخوختها، فيضعها في قالب دائري لا يمكن لها الخروج منه، وحتمية الزوال شر لابد منه.

3. الحضارة لا يمكن أن تزدهر إلا بالعامل الديني، ويرى كلاً من (ابن خلدون) و (بن نبي) أن العامل الديني حاسم في نشأة وديمومة الحضارة.

4. المدنية مرتبطة بالحضارة ارتباط وثيق، أما الثقافة فيتصور وجودها لدى المجموعات الإنسانية دون حضارة، إلا أن الحضارة تشتمل على كلهما.

5. نظرية (ابن خلدون) حول الحضارة مقرونة بالدول والأنظمة السياسية، فلها أطوار لا بد من عبورها، كما أن تدهور الحضارات غالباً ما يرتبط بغياب الاستقرار السياسي.

6. يؤمن (Durant) بديمومة الحضارات، ويرى أن الحضارات لا تموت، إنما يحمل لواءها شعب وارث، ولا يتصور وجود انقطاعات حضارية.

7. العرق ليس عاملاً في نشأة الحضارة، فيمكن أن تزدهر الحضارة لدى أي شعب، كما أن الحضارة يمكن أن تشمل شعوب لا يتحدثون لغة واحدة، لأن اللغة ثقافة، والحضارة ذات مفهوم أوسع.

8. المنظور الإسلامي للحضارة، مقترن بفاعلية الإنسان، فإذا ارتقى الإنسان صار للحضارة، وإذا انحدر عاد للبدائية.

9. أطوار الحضارة عند منظريها عامةً في هذه الدراسة ثلاثة: الروح سائدة عِند نشأة الحضارة، العقل والمادة مسيطرين على إنسان الحضارة في ذروتها، تدهور وانحلال الحضارة يكون في طور انفلات وسيطرة الغرائز وضعف النظام الأخلاقي والترف الزائد.

10. الحضارات غالباً تولد في هيئة دول أو أنظمة سياسية، كما أن الثقافة سمة موجودة لدى كل شعوب العالم، بخلاف الحضارة بإعتبارها مؤشر على مرحلة متقدمة تجمع بين الثقافة والمدنية.

8. التوصيات

وتوصي الدراسة بأهمية البحث في هذه النقاط التالية:

1. دراسة حول تأثير عاملي الدين والعصبية على نفسية الشعوب العربية، ودور استقرار الأنظمة السياسية في الحفاظ على الحضارة.

2. البحث في أثر الغزو الفكري والثقافي الأجنبي على إنسان الحضارة ومآلاته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
السنة النبوية
الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي بن منظور. (1998م). *لسان العرب*، (ط1). ت: مجموعة أساتذة، القاهرة: دار المعارف.
أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا. (1979م). *معجم مقاييس اللغة*، (ط1). ت: عبدالسلام محمد هارون، دمشق: دار الفكر.
ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. (2004م). *تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*، (ط1). ت: أبو صهيب الكرمي، عمان: بيت الأفكار الدولية.
أبو خليل، شوقي. (1994م). *الحضارة العربية الإسلامية*، (ط1). دمشق: دار الفكر.
ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. (1950م). *مقدمة ابن خلدون*، (ط1). القاهرة: دار الشعب.
أنيس، عبد العظيم. (1967م). *العلم والحضارة*، (ط1). القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة.
التميمي، عز الدين الخطيب. (2004م). *نظرات في الثقافة الإسلامية*، (ط1). عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع.
الجلي، أ.د. أحمد محمد. (2010م). *دراسات في الثقافة الإسلامية*، (ط2). العين: دار الكتاب الجامعي.
الخطيب، عمر عودة. (2000م). *لمحات في الثقافة الإسلامية*، (ط1). بيروت: مؤسسة الرسالة.
أشفيتسر، ألبرت. (1960م). *فلسفة الحضارة*، (ط1). القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
السائح، الحسن. (1986م). *الحضارة الإسلامية في المغرب*، (ط2). الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
بن نبي، مالك. (2000م). *مشكلة الثقافة*، (ط4). دمشق: دار الفكر.
بريون، د. فوزية. (2010م). *مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة*، (ط1). دمشق: دار الفكر.
بن نبي، مالك. (1985م). *ميلاد مجتمع*، (ط1). دمشق: دار الفكر.
بن نبي، مالك. (1986م). *شروط النهضة*، (1). دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
ديورانت، ويل. (1988م). *قصة الحضارة*، (ط1). ت: زكي نجيب محمود، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.
هاولز، وليام. (1965م). *ما وراء التاريخ*، (ط1). ت: د. أحمد أبوزيد، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.
لنتون، رالف. (2010م). *شجرة الحضارة قصة الإنسان منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث*، (ط1). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
مؤنس، حسين. (1978م). *الحضارة*، (ط1). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
مناف، علاء هاشم. (2011م). *نظرية العقل العربي*، (ط1) بيروت: مؤسسة التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
حداد، جورج. (1953م). *المدخل إلى تاريخ الحضارة*، (ط1). دمشق: مطبعة الجامعة السورية.
هنتجتون، صامويل. (1999م). *صِدام الحضارات*، (ط2). طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان.
شبينغلر، أوزفالد. (2005م). *تدهور الحضارة الغربية*، (ط1). ت: أحمد الشيباني، بيروت: دار مكتبة الحياة.
غِدِنز، أنتوني. (2005م) *علم الاجتماع*، (ط1). ت: د. فايز الصُيّاغ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
توينبي، أرنولد. (2011م). *مختصر دراسة للتاريخ*، (ط1). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
عمر، أحمد مختار. (2008م). *مُعجم اللغة العربية المُعاصرة*، (ط1). القاهرة: عالم الكتب.

References

al-Qur'ān al-Karīm.
al-Sunnah al-Nabawīyah.
al-Anṣārī, Muḥammad ibn Mukarram ibn ʻAlī ibn manẓūr. (1998M). *Lisān al-ʻArab*, (1st). t: majmūʻah asātidhat, al-Qāhirah: Dār al-Maʻārif.
Abū al-Ḥusayn, Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyā. (1979m). *Muʻjam Maqāyīs al-lughah*, (1st). t: ʻAbdussalām Muḥammad Hārūn, Dimashq: Dār al-Fikr.
Abū Khalīl, Shawqī. (1994m). *al-Ḥaḍārah al-ʻArabīyah al-Islāmīyah*, (1st). Dimashq: Dār al-Fikr.
Anīs, ʻAbd al-ʻAẓīm. (1967m). *al-ʻIlm wa-al-ḥaḍārah*, (1st). al-Qāhirah: al-Muʼassasah al-Miṣrīyah lil-Taʼlīf wa-al-Tarjamah.
al-Tamīmī, ʻIzz al-Dīn al-Khaṭīb. (2004m). *Naẓarāt fī al-Thaqāfah al-Islāmīyah*, (1st). ʻAmmān: Dār al-Furqān lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ.
al-Jalī, U. D. Aḥmad Muḥammad. (2010m). *Dirāsāt fī al-Thaqāfah al-Islāmīyah*, (2nd). al-ʻAyn: Dār al-Kitāb al-Jāmiʻī.
al-Khaṭīb, ʻUmar ʻAwdah. (2000M). *Lamaḥāt fī al-Thaqāfah al-Islāmīyah*, (1st). Bayrūt: Muʼassasat al-Risālah.
Ashfytsr, Albirt. (1960M). *Falsafat al-Ḥaḍārah*, (1st). al-Qāhirah: al-Muʼassasah al-Miṣrīyah al-ʻĀmmah lil-Taʼlīf wa-al-Tarjamah wa-al-Ṭibāʻah wa-al-Nashr.

al-Sā'iḥ, al-Ḥasan. (1986m). *al-Ḥaḍārah al-Islāmīyah fī al-Maghrib*, (2nd). al-Dār al-Bayḍā': Dār al-Thaqāfah lil-Nashr wa-al-Tawzī'.

Baryūn, D. Fawzīyah. (2010m). *Mālik ibn Nabī 'aṣrihi wa-ḥayātuhu wa-naẓarīyatuhu fī al-Ḥaḍārah*, (1st). Dimashq: Dār al-Fikr.

Durant, wyl. (1988m). *qiṣṣat al-Ḥaḍārah*, (1st). t: Zakī Najīb Maḥmūd, Bayrūt: Dār al-Jīl lil-Ṭab' wa-al-Nashr wa-al-Tawzī'.

Ghidinz, Antūnī. (2005m) *'ilm al-ijtimā'*, (1st). t: D. Fāyiz alṣuyyāgh, Bayrūt: Markaz Dirāsāt al-Waḥdah al-'Arabīyah.

Hāwlz, Wilyām. (1965m). *mā warā' al-tārīkh*, (1st). t: D. Aḥmad abwzyd, al-Qāhirah: Dār Nahḍat Miṣr lil-Ṭab' wa-al-Nashr.

Ḥaddād, Jūrj. (1953m). *al-Madkhal ilá Tārīkh al-Ḥaḍārah*, (1st). Dimashq: Maṭba'at al-Jāmi'ah al-Sūrīyah.

Hntjtwn, Ṣāmwīl. (1999M). Ṣaddām al-ḥaḍārāt, (2nd). Ṭarābulus: al-Dār al-Jamāhīrīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī' wa-al-I'lān.

Ibn Khaldūn, 'Abd-al-Raḥmān ibn Muḥammad. (2004m). *Tārīkh Ibn Khaldūn al-'ibar wa-dīwān al-mubtada' wa-al-khabar fī Ayyām al-'Arab wa-al-'Ajam wa-al-Barbar wa-man 'āṣarahum min dhawī al-Sulṭān al-akbar*, (1st). t: Abū Ṣuhayb al-Karmī, 'Ammān: Bayt al-afkār al-Dawlīyah.

Ibn Nabī, Mālik. (2000M). *Mushkilat al-Thaqāfah*, (4th). Dimashq: Dār al-Fikr.

Ibn Nabī, Mālik. (1985m). *Mīlād mujtama'*, (1st). Dimashq: Dār al-Fikr.

Ibn Nabī, Mālik. (1986m). *shurūṭ al-Nahḍah*, (1st). Dimashq: Dār al-Fikr lil-Ṭibā'ah wa-al-Tawzī' wa-al-Nashr.

Ibn Khaldūn, 'Abd-al-Raḥmān ibn Muḥammad. (1950m). *muqaddimah Ibn Khaldūn*, (1st). al-Qāhirah: Dār al-Sha'b.

Lntwn, rālf. (2010m). *Shajarat al-Ḥaḍārah qiṣṣat al-insān mundhu Fajr mā qabla al-tārīkh ḥattá bidāyat al-'aṣr al-ḥadīth*, (1st). al-Qāhirah: al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjamah.

Mu'nis, Ḥusayn. (1978). *al-Ḥaḍārah*, (1st). al-Kuwayt: al-Majlis al-Waṭanī lil-Thaqāfah wa-al-Funūn wa-al-Ādāb.

Manāf, 'Alā' Hāshim. (2011M). Naẓarīyat al-'aql al-'Arabī, (1st) Bayrūt: Mu'assasat al-Tanwīr lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī'.

Shbynghlr, awzfāld. (2005m). tadahwur al-Ḥaḍārah al-Gharbīyah, (1st). t: Aḥmad al-Shaybānī, Bayrūt: Dār Maktabat al-ḥayāh.

Tuwīnbī, Arnūld. (2011M). *Mukhtaṣar dirāsah lil-tārīkh*, (1st). al-Qāhirah: al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjamah.

Tāylwr, Idwārd. (1871m). al-Thaqāfah al-bidā'īyah, (1st).

'Umar, Aḥmad Mukhtār. (2008M). mu'jm al-lughah al-'Arabīyah almu'āṣrh, (1st). al-Qāhirah: 'Ālam al-Kutub.